

وديع ديب

# معالم الثقافة في شعر المتنبي

**بقلم وديع ديب**

ان الشاعر الذي يملأ الدنيا ويشغل الناس لا يكون بغير ثقافة شاملة . كما ان الثقافة لا تكون بغير علم راسخ . وليس من المحتم ان تكون هذه الثقافة وليدة المستوى الجامعي . ذلك لان الكثيرين من الشعراء والادباء يستكملون معارفهم بالمطالعة ويستخلصون ثقافتهم بالتجربة والملاحظة . هذا بالاضافة الى ما وهبهم الله من مواهب خلاقة وما هيأ لهم من ظروف مؤاتية. فما الشاعر الكبير سوى امريء حباه الله اشراقة العقل ولطافة الحس بما يضمن له التفوق والابداع . وكثيرا ما يزهو بشاعريته ويتباهى بثقافته وهو لا يعلم بانه مدين بهذه الشاعرية الى الشعراء الذين نافسوه وانه مدين بهذه الثقافة الى العلماء الذين عاصروه . فهو وليد عصره وربيب بيئته . وعليه فان الشاعرية ـ لا تكون اصيلة جليلة الا اذا تفاعلت والمجتمع الذي يحيط بها ، تفاعلا مباشرا بحيث يعكس الشاعر صور هذا المجتمع بكل اخلاص وامانة . فلا ينقل عن سواه ولا يتاثر بمن سبقه ، والا كان عمله عمل المرآة التي تعكس عن مرآة ثانية تستوي ازاءها ، فاذا بالصور منحرفة مشوهة، واذا بالخطوط والظلال تمتد او تتقلص على غير روعة بما لا يتفق وغرض الخلق الفني .

لقد كان عصر المتنبي حافلا بكبار العلماء من امثال الرازي وعظماء الفلاسفة من امثال الفارابي وجهابذة الادب من امثال الاصبهاني ، وكان اكثر هؤلاء يعيشون في بلاط سيف الدولة او يتقربون اليه . حتى قيل : ما اجتمع بباب احد من الملوك عدد من شيوخ الشعر ونجوم الدهر بنسبة ما اجتمع ببابه . ومهما يكن من امر ، فقد عرف عن ابي الطيب بانه كان شغوفا بالمطالعة محبا للتكسب دائبا على تحصيل المعرفة بأي ثمن فكان في اجتهاده مضرب المثل حتى نسبت اليه كل معجزة من هذا القبيل .

قيل انه دخل يوما حانوت، وراق يبتاع كتابا فوقع نظره على مؤلف للاصمعي فأخذه بين يديه وراح يقلب صفحاته واحدة واحدة واعجبه الكتاب فأطال التأمل فيه، فاضطرب البائع المتلهف على قبض ثمنه فكان ان قال له : اذا كنت تريد حفظ الكتاب فسوف لا تفرغ منه قبل شهر كامل . فأجاب المتنبي : لقد حفظته ، واخذ يتلو محتوياته دون ما خطأ والدهشة بادية على وجه صاحبه . ان مثل هذا الذكاء كفيل باحلال صاحبه في المنزلة الاولى من منافسيه .

على انني لست معنيا في هذه الكلمة العجلى باحصاء الشعراء الذين باروه والنقاد الذين تحدوه ، وانما انا معني بهذه الابيات المثبوتة في قصائده وفي كل بيت منها دليل على معرفة وبرهان على ثقافة . وغني عن البيان بان الفرق بين المعرفة والثقافة هو ان الاولى محدودة والثانية مطلقة ، وان للثانية معنى الشمول او هي المعرفة في أرحب معانيها ، وبالطبع فان الانسان الثقيف هو الذي يعرف لغة قومه ولغة الاخرين ، ويعرف آداب قومه وآداب الاخرين ويعرف تقاليد قومه وتقاليد الاخرين . وبذلك وحده يتسنى لهذا الانسان ان يقيس ويقارن ويحكم وهو بهذا الحكم الذي يتوصل اليه يمكنه ان يقرر نوع ثقافته والطابع الشخصي الذي يتفرد به عن سواه . من اجل هذا يلاحظ ان ابرز خصائص المتنبي في شعره هي اطلالة شخصيته ساطعة من وراء الحروف بشكل يسترعي الانتباه ويستوجب التامل .

لقد حاول الحاتمي في احدى رسائله ان ينكر عليه طابعه الشخصي يوم راح يتهمه باقتباس الفكر اليوناني ولكن محاولته هذه لم تجد آذانا صاغية الا عند حساد الشاعر وما اكثر ما تعرض لهم بالذم والتحدي . هذا ويحسن بي ان اذكر هنا على سبيل المثال شيئا من تلك المقارنة التي اجراها الحاتمي بين الفيلسوف اليوناني والشاعر العربي .

قال أرسطو :

**الصبر على مضض السياسة ... ينال به شرف الرئاسة**

وقال ابو الطيب :

**لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ... حتى يراق على جوانبه الدم.**

وقد استخلص الحاتمي من مقارنة كهذه ، بان المتنبي سرق معانيه عن فلاسفة اليونان . وفي قوله هذا كثير من الاسراف والتجني . فالفرق واضح بين الاثنين . ففي كلام الفيلسوف اليوناني دعة واستسلام وفي قول الشاعر العربي ثورة وتحرر .

الاول يعد والثاني يتوعد ، وبين الوعد والوعيد فـرق شاسع . وعندي ان المتنبي اكثر اصالة في هذا المعنى من صاحبه ، ذلك لانه عرف الحرب ومارسها مراس الابطال فهو ينطق عن تجربة عاشها وكانت من حياته في الصميم .

**الخيـل والليـل والبيداء تعرفني  والسيف والرمح والقرطاس والقلم**

لست ادري من كان وراء الحاتمي من الفلاسفة يـوم راح يتهم ابا الطيب بالمحاكاة والتقليد ؟ وارجـح الظـن ان يكون الفارابي هو الموحي له بذلك والدافع الاول لهـذا التشويش . فلقد اتيح لهذا الفيلسوف ان يقضي اصيـل حياته في بلاط سيف الدولة هانئا منعما الى ان توفاه الله وهو في حدود الثمانين من العمر وقد كان في هذه الفترة من سني حياته يحظى بعطف الامير وتشجيعـه . على ان ما حصل من تصادم بين المتنبي وخصومه هـو الذي اوقد ذهنه وألهب شعوره ومن يدري فقد يكون الحاتمي متأثرا بمن سبقه من حساد الشاعر وكلهم أديب اريب وليس من الضروري ان يكون الناقد الحاسد معاصرا للشاعر خصوصا اذا علمنا بان التهجم على المتنبي كـان مطبوعـا بطـابـع الشعوبية . وعليه فانه بنسبة قوة التحـدي كـان دوي الانفجـار :

**ولا تحسبن المجد زقـا وقينــة  فما المجد الا السيف والفتكة البكر**
**وتركك في الدنيا دويـا كأنمـا  تناول سمـع المرء انملـه العشر**

من هنا كان على المتنبي ان يقابل التحدي بالتحدي ومن هنا كان عليه ان يحيط بالثقافات الغريبة من فارسيـة ويونانية وهندية ليتمكن من قرع الحجة بالحجة والمنطـق بالمنطق . وقد كان عليه ان يتفرد ببيانه العربي ليبقى في الذروة من البيان خصوصا اذا كان المنافس اعجميا من مثل ابن خالويه وأضرابه . واذن فقد كان على المتنبي ان يحيط بالمعرفة الانسانية ليبقى في القمة من العرفان وهو يعـلم بان البيان لا يرتفع بغير المعرفة وان المعرفة لا تتسع بغـير الثقافة وان الثقافة لا تنال بغير السهر والسفر ، السـهر على العلم والسفر في طلبه . أما من حيث السهر فقـد كان بغنى عن الجهد الكبير فما يحصله في ليلة واحـدة لا يحصله الغير في أشهر .

**انام ملء جفوني عن شواردهـا  ويسهر الخلق جراها ويختصم**

ومن الطبيعي ان يكون الفرق واضحا بين صهيل العتاق ونهاق الحمير . فهو في امتداحه احد السادات يقول بان الكرم صفة ملازمة للعرب ، كما ان روعة البيان صفـة ملازمة لشعرائهم :

**ومعـال اذا ادعاهـا سواهـم  لزمتـه جنايـة السراق**
**كـرم خشـن الجـوانب منهـم  فهو كالماء في الشفـار الرقاق**
**والغنى في يـد اللئيم قبيـح  قـدر قبح الكـريم في الامـلاق**
**شاعر المجد خدنه شاعـر اللفظ  كـلانا رب المعـاني الدقـاق**
**لم تـزل تسمـع المديـح ولـكن صهيـل الجيـاد غـير النهـاق**

واما من حيث السفر في سبيل العلم ، فقد كان ذلك امنيته الغالية كما يتجلى هذا في شعره لابن العميد يـوم زار البلاط الفارسي :

**من مبـلغ الاعراب اني بعدهـا  جالست رسطاليس والاسكندرا**
**ومللت نحر عشارهـا فـاضافني  من ينحر البدر النضار لمن قرى**
**وسمعت بطليموس دارس كتبـه  متملكـا متبديـا متحضرا**
**ولقيت كـل الفاضلين كـأنمـا  رد الالـه نفوسهـم والاعصرا**
**انا من جـميع الناس اطيب منزلا  واسر راحلـة واربـح متجـرا**

وبديهي أن يكون الربح الذي يشير اليه هو ربح العـلم وهو الذي ما عرف لذة تضاهي لذة المعرفة ولا تقرب الى صداقة تضارع صداقة الكتاب :

**غني عـن الاوطـان لا يستخفني  الى بلـد سافرت عنـه ايـاب**
**وللخود مني ساعـة ثـم بيننـا  فلاة الى غـير اللقـاء تجـاب**
**ومـا العشق الا غـرة وطماعـة  يعرض قـلب نفسـه فيصـاب**
**وغـير فؤادي للغـواني رميـة  وغـير بنـاني للزجـاج ركـاب**
**تركنـا لاطراف القنا كـل شهـوة  فليس لنـا الا بهـن لعـاب**
**اعز مكان في الدنى سرج سابـح  وخير جليس في الزمـان كتـاب**

فهل بعد هذا القول من دليل على سعة معرفته وشمول ثقافته ، وهل بعد هذه الشهادة من شهادة . ذلك هـو الشاعر الذي ملأ دنياه وشغل اهلها الى يومنا هذا .

**وديع ديب**

# لبنـان

*

يرقص في ضوء القمر
جـذلان
يعـانق الجبل
ويحضن الشطآن
توردت وجنتـاه
واورقت في صدره
اغصان

قـارورة بالطيب ملآن
من سالف الازمان
سواحل مزروعـة
مرجـان
مر بها في تيهه ربان
فارتاح واستلقى ، على الشطآن
وجـاءه ... لبنان
يمنحه اجمل ما غنى به
... انسان

همبورغ  **ناصر بوحيمد**

# مذكرات نشال سرق شاعرا

فازت هذه القصيدة بجائزة الشعر الاولى من المجلس الاعلى للفنون
بالقاهرة لعام ١٩٦٣ ولم يسبق لها ان نشرت

ساحكي للضيـاع المر قصة ليـلي الهارب
ساحكيهـا بلا زيف يوشي وجهها الشاحب
وقصة ليلي المصلوب قصـة مذنب تـائب
تحسى في دياجـير الحياة شعاعها الغارب
ولون وجهها السأمان من احساسه الناضب
فمات النور والديجور عبر طريقه الـلاهب
وعانق عمره عريان .. الا من صدى راعب
يولول في دياجيـه .. ويخنق فجره الناحب

* * *

انا خلف الجدار ولدت .. خلف مسائه الشاتي
لقيط اجرح الآفاق مـن همس انتحابـاتي
فيبكي الليل في عيني .. في أمطار دمعاتي
ويصحو السيل والاعصار خلف تخوم آهاتي
ويرتعش المدى المقرور في ابعـاد رعشاتي
وحين تفتحت عيناي .. حين تكاملت ذاتي
وعيت حقيقتي .. فدفنت في دمي اكتئاباتي
وعشت كما اراد الليل منزوف الجراحـات

* * *

وكنت اذا اضاء الصبح وافترت حواشيـه
احدق في الزحام عساي ابصر والدي فيه!
وكنت اراه .. طيفا في براءة من الاقيه !
وامي .. كنت ابصرها هناك على مدى التيه
تسير على الطريق سدى .. وتخبط في دياجيه
وادنو منهما .. فأرى ضبابا كنت ابنيـه
واعرف انهـا اشباح حـلم عشت احكيـه
فاصرخ : لا .. انا اصداء صوت مات حاديه!!

* * *

ورغم دياجري كانت تشد خطـاي للفجـر
اغان مبهمات اللحن تدمي مقلـة الصخـر
اجل .. كانت يدي تنسل بين المد والجزر
فتسرق لقمة الاطفال تسرق ادمـع الغـير
وتخنق الف اغنية منـداة عـلى الثغـر
وتمضي .. مثلما يمضي الصدى للريح والقفر
ولكني برغمي كنـت أحـيا لحظـة النصر
اذا عادت يدي يوما .. ولم تسفك دم الزهر

* * *

وذات ضحى .. كاهلال الربيع على المدى الجدب
تراءى الشاعر العملاق يجرح قمـة الغيب
خطى منغومة الايقاع تفرش جبهة الـدرب
وراس شامخ .. وحقيبة محشودة الجيب
مشيت وراءه وخلستها في زحمـة الركب
وعدت وفي خيالاتي رؤى معطـاءة الخصب
وحين فتحتها .. ماتت خيالاتي على هدبي
ولاح لخافقي المهزوم ومض عاش في قـلبي

* * *

وجدت حصاد هذا الشاعر الفنان .. أوراقا
فتلك وريقة غـنى بهـا للحب أشواقـا
وتلك وريقة تبكي دمـا للنـاس رقراقـا
وتلك وريقـة تبني ربى .. وتشيد آفاقـا
وتلك وريقـة تهدي لنا .. للكون .. أحداقا
لنبصر في الطريق مهاويا جوعى .. واشداقا
والف سحابة تهمي دمـا مـرا وارهاقـا
لنبصر عالما ظمـآن .. آفاقا .. واعماقا !

* * *

ويا لله .. كانت احرفا من صنع فنـان
رايت خلالها دنيـاي في احـداق انسـان
ينـاضل دون أن أدري لآلامي واحـزاني
يناضل لي .. وللالاف تحيا خلف قضباني
رايت خلالها عيني أبي في شوقـه الراني
وامي .. غيمة بيضاء .. يا لبراءة الجاني
تحطمت القيود السود .. ماتت كل جدراني
ومات الحقد خلف صباح اشراقي وايماني

القاهرة — محمد احمد العزب



الدكتور محمد حاج حسين

# عمود الشعر

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

قال البحتري : ان ابا نواس اشعر من مسلم بن الوليد لانه يتصرف في كل طريق .. ان شاء جد ، وان شاء هزل ، ومسلم يلزم طريقا لا يتعداه . فقيل له : ان ثعلبا لا يوافقه . فقال : ليس هذا من علم ثعلب واضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ، وانما يعرف الشعر من دفع الى مضايقه .

والشعر حقا لا يعرفه الا من عاناه ، ودفع الى مضايقه كما يقول البحتري ، وتقديس القديم كان مثل ثعلب الاعلى ، هو واضرابه من الرواة واللغويين والنحاة ، فمن طبيعة النقد ، بصورة عامة ، تقديس القديم حتى ان اصحابه يرون كل محاولة في تجديد الادب ضربا من الاخلال بالتقاليد الادبية التي لا يجوز تجاوزها . وكانت ابحاثهم تستهدف في الغالب استدامة التقاليد المتحجرة القديمة . والشعر في نظرهم امر صناعة قبل كل شيء ، واقوى خصائصه الفنية تقوم على صدق مطابقته للشكل القديم ، وليست مقدرته في التعبير عن الذات . وهذا المبرد يقول : « ختمت الفصاحة في شعراء المحدثين بعمارة بن عقيل » وهو حفيد جرير ، عاش في القرن الثالث الهجري ، وليس له من ميزة فنية سوى انه كان بدويا يحتذي القديم ، ويجري على نمط الشعر الجاهلي ، يعيش في البادية ، ويفد بين حين واخر الى بغداد . وابن الاعرابي يختم الشعراء بمروان بن أبي حفصة ، ولم يدون لاحد بعده شعرا . وكان يقول عن شعر أبي تمام : « ان كان هذا شعرا ، فكلام العرب باطل » .

ومن الطبيعي ان الفن يسير في اتجاهه وتقدميته غير آبه لحملات النقد المسعورة التي تحاول ان تعيقه عن التعبير عن ذاتيته في نهج جديد حتى اذا استطاع هذا الجديد ان يركز أسسه ، غير هؤلاء النقاد رايهم ، واقبلوا عليه يدرسونه ، ويحللونه ، ويتقرون عن الجمال الفني فيه ، فالنقد قد يعيق الادب عن التطور لفترة من الزمن ، ولكنه لا يستطيع ان يكبله طويلا فلا بد أن ينطلق من اساره الى ميادين فياحة مدفوعا بسنة التطور والحياة ، وقوة الفردية ، وتقاليد العصر .

والعقل السامي نزاع بفطرته الى احترام القديم ، واذا كان هذا التقديس جائزا في كل شيء ، فلا يجوز ان يكون في الادب لان طابعه الابتكار والاصالة . واذا عمدنا الى الحد منهما جاء الادب بعيدا عن التعبير عن الذات ، واصبح قوالب عتيقة لا يحتدم فيها الخصب العاطفي ، والاتجاه الانساني ، وابتعد عن الانطلاق لاكتشاف عوالم جديدة زاخرة بالحياة . والفن في شموله وعمقه لا يخضع لقيود ، فاذا وضعنا له قواعد وتقاليد يجب ان يترسمها اصابه الوهن والزيغ ، وجاء فنا باهتا عدمه خير من وجوده .

وكان نقاد العرب القدامى بمثابة الحراس للقديم ، فكل محاولة للتجديد هي في نظرهم ، خروج على عمود الشعر . يجب ان تبتر في قسوة وعنف . والقصيدة الجاهلية هي المثل الاعلى الذي يجب على الشعراء ان يصلوا في محرابها . يقول ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء : « وليس لمتأخر الشعراء ان يخرج عن مذاهب المتقدمين في هذه الاقسام ، فيقف على منزل عامر ، ويبكي عند مشيد البنيان لان المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر ، والرسم العافي ، او يركب حمارا او بغلة لان المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير ، أو يرد على المياه العذبة الجواري لان المتقدمين وردوا على الاواجن والطوامي ، او يقطع الى الممدوح منابت النرجس والورد والآس لان المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والعرار » . ومعنى هذا بوضوح الغاء كل صلة تربط الشعر بالحياة والمجتمع والحضارة ليفرغ الى اشياء لا يحسها ، ولا يعرفها .

قال خلف الاحمر : « قال لي شيخ من اهل الكوفة : اما عجبت ان الشاعر قال : أنبت قيصوما وجثجاثا ، فاحتمل له . وقلت : انبت اجاصا وتفاحا ، فلم يحتمل لي » . ان الاجاص والتفاح ينبتان في الكوفة ، ويأكلهما الناس ، فعمل من تثريب يقع على الشعر اذا تغنى بهما ؟ ومما لا شك فيه ان القصيدة الجاهلية صدى صادق لحياة الشعراء الجاهليين ، فقوالبها ، ونهجها ، وتعدد موضوعاتها التي تنتظمها وحدة معنوية هي في الواقع ، انعكاس رائع لاثر البيئة . وفي اعتقادي أن اجمل شعر عربي ، والصقه الى

النفس ، واصدقه ، هو الشعر الجاهلي ، ولكن ليس من الحتم على الشعراء ان يترسموه ، ويحذوا حذوه بدافع التقليد ، فبهذا يكبلون ذاتيتهم ، ويقتلون روح الابتكار فيهم ليرسموا ظلالا باهتة لشعر غث ممجوج .

وابن قتيبة يرسم صورة للقصيدة الجاهلية التي يجب على الشعراء ان ينهجوا نهجها ، فهي تبدأ بذكر الديار والدمن والاثار ، ثم يشكو الشاعر ويبكي ، ويخاطب الربع المهجور الموحش ، ويستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر اهلها الظاعنين عنها ، ثم يصل ذلك بالنسيب فيشكو شدة الشوق ، والم الوجد ، وفرط الصبابة ليميل نحوه القلوب ، ويستدعي به اصغاء الاسماع اليه لان النسيب قريب من النفس ، لائط بالقلب . ويستطرد الشاعر بعد هذا الى الشكوى من التعب والسهر وسرى الليل، وحرارة الرمضاء ، وانضاء الراحلة والبعير ، ثم يبلغ الشاعر غايته وهو منزل رئيس من الرؤساء ويستجلب دره بالمديح ، أو يقدم اليه مطلبا بوصفه المتحدث بلسان قبيلته .

ولو ان النقاد اصابوا بالشعراء لاحتذاء الشعر الجاهلي في جوه الداخلي الذي يقوم على الصدق الفني ، وحرارة العواطف ، وسذاجة الفن ، وقربه من النفس ، لاصابوا المرمى ، وادوا خدمة عظيمة للشعر .. اما التقليد الخارجي، فليس فيه اي غناء للفن ، ولا اثراء للشعر .. بل على العكس يطيح به ، ويدفعه الى الجمود والهمود ، فالموت .

ولا مشاحة ان الادب تكيفه مجموعتان من العوامل : اولاهما التجربة التي تمر بالفنان ، ويعانيها ، ويعيش فيها، وثانيتهما هي التقاليد الادبية التي تبيح معالجة اكثر قضايا الانسان والحياة والمجتمع ، وكلما اتسعت تعمق الفن ، وغزا مناطق حية جديدة ، فاذا قصرنا الفن على معالجة عدد محدود من الموضوعات في نهج قديم قتلناه ، واصبح خواء قواء بعيدا عن التعبير عن الانسان والمجتمع ، ولكن الفن لا يعنو لهذه القيود ، فسرعان ما يحطم القوالب التي يضعها النقاد ، وينطلق الى هدفه لتحقيق فنيته . وعمود الشعر كان الغول الذي ينتصب امام انطلاقة الشعر الى عالمه الحي ، فكل من ثار به بدافع من فرديته القوية ، وشاعريته المجنحة طرد من جنة الشعراء . والمتنبي وابو العلاء المعري نبذا من دنيا الشعر فترة طويلة فقد حدثنا ابن خلدون ان شيوخه في الادب كانوا لا يعدونهما من الشعراء ، لانهما خرجا على ما تواضع العرب عليه من الشعر ، ونظما في موضوعات جديدة لم يعهدها الشعر القديم . وهذا طبيعي ، لان الشاعر الحق كالسيل الاتي لا يمكن ان تعترضه عقبات مهما تعقدت ، فلا بد ان يصل الى هدفه ، والشاعرية الصادقة تحطم كل تقليد يضعه النقاد والرواة امامها ليعوقها عن التحليق والابداع . فالفن لا بد ان يحقق ذاتيته .

وكلام النقاد عن عمود الشعريشوبه الكثير من الغموض.

قال المرزوقي في مقدمة شرحه على حماسة ابي تمام : « ويتلخص في شرف المعنى ، وصحته وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه، والتحام اجزاء النظم والتئامها على تخير فن لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاركة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما»، ومعنى هذا ان اي خروج على هذه الابواب السبعة يعد خروجا على عمود الشعر ، فالمبالغة في التشبيه والاستعارة خروج على عمود الشعر .. ولهذا طرد ابو تمام من جنة الشعراء .. لان عبقريته كانت تدفعه الى ابتكار صور شعرية فيها كل الجدة والطرافة مما لم يألفه القدماء .

ان مسايرة الشعراء لعمود الشعر ضرب من الموت لهذا الشعر الذي يجب ان يساير الحياة . والادهى من ذلك جنوح هؤلاء النقاد والعلماء الى تحديد وظائف الشعر حتى لا يخرج الشعراء عليها ، كانهم لم يكفهم الشكل يمعنون فيه تمزيقا ، بل عمدوا الى جوهر الشعر لزهق روحه فثعلب جعل للشعر اربع وظائف هي: الامر والنهي والاخبار والاستفهام . ويتفرع عن هذه الاغراض الاساسية المديح، والهجاء ، والرثاء ، والاعتذار ، والغزل ، والتشبيه ، والوصف .

وحاول قدامة بن جعفر ان يحصر الشعر في معاني لا يعدوها ، كما ان ابا هلال العسكري في ديوان المعاني قسم الشعر الى اربعة اقسام : المديح ، والهجاء ، والفخر ، والغزل ، ثم اضاف في مكان آخر الوصف ، ووضع الرثاء محل الفخر ، وفي هذا التقسيم كثير من الاضطراب والخلط ، لان الهدف الذي كان يضعه هؤلاء النقاد امامهم الشعر الجاهلي متناسين ان العرب ازدادت مفاهيمهم للحياة ، وامتدوا الى آفاق لم يعرفوها في جاهليتهم ، فلا بد ان ينطلقوا مع فنيتهم في التعبير عن ذاتيتهم ، وحياتهم التي لا تتسق مع ما اراده النقاد من تحجير لها .

والواقع ان الفنون الادبية لا يكيفها النقاد مهما حاولوا من الهيمنة عليها ، وسكبها في قوالب جامدة ، وانما يكفيها الانتاج الفني نفسه ، فهو الذي يحدد اخيرا معالم النقد الجديد ، وهو الذي يبدع ، وتأتي اجيال جديدة تساير هذا الابداع ، وتسيغه ، وتستخلص منه الاصول الادبية الصحيحة لتكون نبراسا للاجيال القادمة في دفع عربة التجدد الى الامام .

ورغم سيطرة النقاد ، وواسع نفوذهم لم يقف الشعراء امام طغيانهم مكتوفي الايدي ، فتمردوا ، وراحوا يبدعون غير حفيلين بهذه الاصوات القاسية التي تحاول ان تحد من ابداعهم .

والحق انهم بحاستهم الفنية الصادقة كانوا اقدر على فهم وظيفة الشعر ورسالته من هؤلاء النقاد وجابهوهم بالقسوة احيانا فعل بشار بن برد عندما علم ان سيبويه لا يستشهد بشعره في كتابه ، فسلط عليه لسانه السليط ،

# ليلة « الكورنيش »

●

انا لي في شط بيروت هوى ... لاح في افق حياتي واندثر
لم يعش الا كما عاش الشذا ... املا رف وحلما قد عبر
مر كالطيف ، ولي منه رؤى ... دارسات ، وأمان ، وعبر
وسويعات متى اذكرها ... هاجت الذكرى بقلبي المستعر
لا تسلني... وسل الارض التي ... رويت من فيض دمعي المنهمر

* * *

ويح قلبي عاد بالذكرى الى ... ليلة«الكورنيش» فيالوكر العطر
قد هفا قلب الى قلب به ... معلنا من وجده ما قد أسر
همسات ، وعتاب ، وهوى ... مثلما نم عن العرف الزهر
لست انسى ويدي في يدها ... الرقيب البحر والمأوى الشجر
كلما هبت علينا نسمة ... مالت الاغصان وانسل القمر
فراى ثغرا على الثغر هوى ... وراى صدرا على الصدر استقر
وراى قلبين ذابا لوعة ... وحنينا ... فهما نضوا سهر
وشفاها ظامئات للهوى ... ترتجي زادا لها يوم السفر .

* * *

ليلة «الكورنيش» هل من عودة ... علني الثم ذياك الحجر
باحثا عن نشوة في تربه ... عل في بطن الثرى منها اثر
انا قد اودعته من كبدي ... فلذة ... لله ما أقسى القدر !

**لندن**

**سعيد العيسى**

**من « العروة الوثقى »**



وهجاه لاذع الهجاء ، فعنا سيبويه لقوة الشعر ، وراح يستشهد بشعر بشار . وابو نواس كان اقدر من هؤلاء النقاد جميعا على الادراك الواعي لرسالة الشعر ، فقد تميز بحاسة نقدية ممتازة دفعته الى الوقوف بعنف امام هؤلاء النقاد ، ودعا الى تحرير الشعر من ربقة القديم . وهو في تجديده لم يحطم القيم الجمالية للشعر القديم .. وكل ما في الامر انه دعا الى ان يكون الشعر صدى صادقا للحياة الاجتماعية والنفسية التي يحياها الناس في بغداد .. في عصر زكت فيه الحضارة ونمت وماست القصور تياهة ، واستبحر العمران ، ونضجت العقول . فاحساس ابي نواس برسالة الشعر دفعه الى هذا الاتجاه مقاوما بهذا تزمت الرواة والنحاة والنقاد الذين كانوا يعملون على عودة الشعر للنمط الجاهلي .

وقد كان انصار القديم هؤلاء عجبا في تقديسهم له يرون فيه كل جمال واصالة .. حتى في العصر الاموي لاقى الشعراء منهم عنتا كثيرا فأبو عمرو بن العلاء يقول عن جرير .. لو عاش يوما واحدا في الجاهلية لما فضل عليه احد من الشعراء .. كأن مجرد الحياة في الجاهلية هي المقياس الصحيح للشعر .

ان عمود الشعر يحول دون كل اصالة وابتكار ..والشعر بدونهما لا يتأتى له ان يكون شعرا ، فالتقليد في الفن قتل له ، واطاحة به الى الفناء . والشاعر الحق هو الذي يكتشف دنيا جديدة ، ويبصرنا بانفسنا ، ويزيدنا معرفة بها ، وينفض امامنا الحياة بما فيها من تناقض عجيب ...

**مكة المكرمة** — **محمد حاج حسين**

التاريـخ ... الجغرافيا ... ام الطبيعة ؟ سأبدأ اولا بالتاريـخ ... يجب – في هذه الفترة بالذات – ان احصل على تقدير ممتاز حتى ادخل الحبور والنشوة الى صدر امي ... امي ... هذه الحبيبة ...

قال ذلك سعيد .. الفتى اليافع الذي يبلغ من العمر خمسة عشر عاما .. يجلس امام مكتبه .. في حجرته اللطيفة ذات السرير المنسق الناصع البياض وعلى الحوائط بعض لوحات من صنع أمه ...

انه يترك القلم ، وبحركةلاشعورية، يلتفت ناحية الشرفة ، التي تفصل بينها وبين حجرته ، نافذة ... ثم يتسمـع .. لا لشيء ... الا .. ليسائل نفسه هل لهذا الحديث ، الذي يدور بين ابيه وقريبته الارملة الست سنية ... له من الاهمية ما يمكن ان يبلبل افكاره ؟.. هذه الافكار التي تدفعه الى النفور من المذاكرة ؟

هه ... ابوه ... ماذا يفعل ؟.. او بالاحرى ماذا يعمل ؟.. انه قعيد البيت .. محال على المعاش تماما كذلك الكرسي الاسيوطي – من مخلفات جده الاكبر – له ثلاثة ارجل والرابعة فوق في الصندرة .. فاذا ما سأل أمه ... اما آن لهذا الكرسي العتيق أن يبت في امره تقول ... بكره ... بكره .

وها هو بكره قد فات وتلاه بكره وبكـره ...

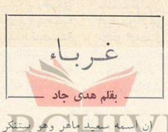
الهمس لا ينقطـع .. وفصـول التاريخ يجب ان يعيد قـراءتها .. الا لعنة الله على التاريخ والجغرافيا والطبيعة .. ايضا .. ولكن .. اما الدروس واما .. اما .. والده ..!

والده ؟ انه يحبه ما في ذلـك شك ... ولكن ما نوع هذا الحب .. ما طعمه ... ما لونه ؟

ثم تقفز امام عينيه صورة امه الحبيبة ... جميلة ؟ لا .. ليست جميلة ... ان جميلة كلمة شائعة تطلق على كل شيء جميل اما هي.. فاذا ما امسكت او لامست شيئا اصبح جميلا .. فهل هي فقـط جميلة ..؟ لا والله بل هي اكثر الف مرة من جميلة ..

ومع ذلك فهذا الوالد الذي يحبه سعيد يجالس ويسامر كثيرا هـذه الست سنية .. لماذا ..؟ الان امه تشتغل وتربح ؟ الانهـا تقوم – في نفس الوقت – بدور المراة والرجل ؟ انها تخرج في الصباح الباكر ولكن .. بعد ان ترتب بنفسها طعام الافطار وتوقظ ابنها الحبيب وتشدد كثيرا في شربه للبن .

هذه السترة الكحلية التي يرتديها .. هي التي اختارتها بل هي .. التي دفعت ثمنها ... حتى دروسه .. تعرف دقائقها وايا منها يروق له ..




ان اسمه سعيد ماهر وهو يستنكر ان يكون اسمه سعيد فاطمة ..!! ثم يتنهد ... غدا يجب ان يجيب على اسئلة الامتحان بدقة ووعي .. وعلم التاريخ هذا رتيب وممل يحتاج الى صبر وروية ..

يا للعنة لا زال الهمس يدور .. ماذا عند ابيه ليقصه علـى الست سنية وماذا عندها لتبثه اياه ؟

وها هو سعيد يمعن في القراءةعن شخصيات تاريخية و ... يصيبـه شبه دوار فيدفع بمقعده الى الخلف في عصبية ويقول .. وماذا يهم ابي لو رسبت ... هل سيدفع لي من جيبه شيئـا ؟ هل سيعاونني في مذاكرة دروسي ؟

ثم يشرد ببصره وتتراءى امامـه صورة صديقه يوسف وهو يسردعليه بعض أحداثه اليومية قائلا .. انـا وابي كأخوين عمر أكبرهما لا يزيد عن عمر اخيه بأكثر من سنوات قلائل.. أيدهشك ان تعلم باني كثيرا ما اغلبه في لعبة التنس ؟.. ثم انني ... – ويحاذر وهو يخفض من صوته – ابوح له ببعض مغامراتي ..؟ يا له من والد .. لكن لا تظنه عربيدا يـا سعيد انه مرح في اتزان يحب الحياة ولكن في حدود المعقول .

وسرعان ما يغض سعيد من بصره .. ثم يتخيل اباه.. الطيب الساكن.. الهادىء هدوءا يكاد يثيره .. انه لا يأخذه معه الى النادي .. ولكن هل هو يعرف النادي ؟ انه لا يعرف غير القهوة حيث يلعب عشرة طاولة مع حسن افندي وحسين آفندي .. كم يجيد الخبط واللبط ويجيد كذلـك جلب الصداع لكل من يشاركهـم اللعب ولو بالنظر ...

كثيرا ما استعصى على سعيـد ان يرد على صديقه الحميم يوسف قائلا : كذلك ... ابي يجيد ... يجيد ثم لا يستطيع ان يكمل ... واخيرا ماذا يمكن لرجل مثله أن يجيد ؟ ان اخلاد والده الى صمت مطبق يحيل سعيد الى نصف مجنون ...

ولقد حدث ذات مـرة ان اجترأ سعيد واستجمع شجاعته وسأل امه: كيف ... كيف تزوجت من ابي ؟

كان يتصور – قبل سؤاله – انها ستقطب جبينها وان صدرها سيعلو ويهبط وانها قد لا تجيبه اطلاقا لكنه يروع عندما يجدها وابتسامة نورانية تملأ وجهها المستدير المليح .

– كنت انتظر منك هذا السـؤال من زمن يا سعيد وقلت في نفسي حينما يسالني ولدي اكون اما عجوزا اتدري لماذا ؟ لان ذلـك لا يصدر الا من ولد أصبح رجلا ...

ويذكر سعيد ذلك الموقف كأنمـا هو قد حدث بالامس .. كانت امـه تنظر الى لا شيء وتقص عليه وكأنها ترسم بأناملها قائلة : – انت تعلم يـا



حبيبي أننا كنا ست أخوات وكنت كبراهن ، والبنت في البيت حمل ثقيل ... كلما قصر زمن وجودها في كنف والديها عد ذاك من قبيل الفوز .. الفوز بزوج واتاحة الفرصة ايضا للشقيقات الاخريات ...

وضحكت ضحكة مقتضبة واردفت: الم تقرا عن عروس النيل ؟ انا كنت تلك العروس .. العروس الضحية.. فتاة في السادسة عشرة من عمرها وعريس في السابع والثلاثين ... كان هو ... والدك .. رجلا طيبا حنونا ... واتاح لي الفرصة لاتم تعليمي ثم ادخل الجامعة وانال شهادة الليسانس التي لولاها ... ثم ترفع يديها وتخفضهما .. سرعان ما تفيق من تخيلاتها وتنهي حديثها قائلة: الا تريد شيئا احضره معي وانا آتية ظهرا ..؟؟

لكن سعيد لا يريد أن تفلت منه هذه الفرصة الذهبية التي مكنته من ان يلم ببعض الامور — التي استغلق عليه فهمها — زمنا طويلا فيعاود القاء سؤاله قائلا بحماسة ما دام ابي قد وافق على اتمام تعليمك فما سر هذه الجفوة التي بينكما ؟

قالت بصوت متقطع فيه الكثير من المرارة والحسرة : والدك من الشخصيات المنطوية الحزينة المغلقة بضباب يحتاج لامراة محنكة عركت الحياة لتصل الى اعماقه الغامضة فكيف يتأتى لي ذلك انا ... انا التي لم اعرف رجلا غير ابي ... كنت احتاج لمن يأخذ بيدي أما هو فكان يحتاج الى امراة اخرى انضج مني.. فكيف كان يمكن ان نتلاقى ؟ ثم تنهدت .. ألم تدرك بعد يا سعيد.. الم تفهم ؟ لعله فهم الكثير حينذاك.. فهم ان امه تؤدي واجبها بدقة ... بعناية .. بهدوء .. لكنه لا يراها باسمة الا معه.. ولا مرحة الا معه.. ويذكر ايضا ان والده كان يرنو اليه في صمت .. يحدثه بعينه فقط . لا بلسانه ...

وكذلك يذكر الست سنيه التي تنهض بأعباء البيت أثناء تغيب أمه في عملها انها عجفاء شاحبة اللون تمنح ابتسامتها جزافا لكل من تقابله .. ولكنها متى ابتسمت لابيه، فعندئذ يرى سعيد أشياء واشياء او هكذا ... يخيل اليه .

ان امه متعلمة اما الست سنية فتكاد تفك الخط .

ان امه رائعة الجمال والست سنية في خريف عمرها فهو لا يدري هل كانت فيما مضى ذات جمال وان الزمن محا اليوم كل شيء ؟

انه يحب امه بل يعبدها . أما الست سنية فهو يضيق بها . وان



هدى جاد

•

كان يشعر نحوها بعرفان الجميل فهي ولا شك تحيل البيت الى جنة وخصوصا عندما تخرج .. منه !! و .. والده كم يحبه .. لكنه لا يجده وان وجده فاما مع الست سنية او مع نفسه .. هيه ... ما زال الهمس يدور ... لا شك انها رواية فصولها متعددة ... وليست لها نهاية ..

لقد قرب ميعاد حضور صديقه يوسف وعليه ان يكف عن الدرس كذلك اعصابه كادت ان تفلت منه.. سيخرج الان الى الشرفة و ...

واخيرا سمع نفسه وهو يقول في انفعال وبصوت مرتفع : بابا ... اني منذ ساعتين احاول المذاكرة ولكن دون جدوى اذن أين اذاكر ؟ في الشارع ؟ أو على السطح ؟ وفجأة يسكت عن الكلام .. اذ يلمح عيني والده المحملقتين وقد روعته هذه المفاجاة لدقائق لكن سرعان ما تمالك الوالد اعصابه وقال : يا ولد ... كيف تجرؤ على ان تحدثني بمثل هذه اللهجة ؟ انا رب البيت ومع ذلك فصوتي لم يعل مرة واحدة ..

فيقاطعه سعيد بالرغم منه ويغمغم قائلا : ليتك فعلت ... ويردف بين أسنانه : ربما كان قد تغير الامر ..

وبنظرة جانبية من الاب الى الست سنية قال — وهو ينظر في ساعته — شكرا ... شكرا على مجهودك الطيب ...

فيهز سعيد كتفيه ساخرا ويقول: بل ... الف شكر ...

وهنا ارتفعت يد الاب ولم يفهم سعيد ماذا يريد ابوه ؟ أيريد ان يصفعه ؟ ام ان يربت عليه ذلك لان الاب سرعان ما أخفض يده .. وقطع السكون صوت الاب وهو يقول : ما دمت قد تعطلت عن عملك فاجلس هنا على مقعدك فلدي ما أقوله لك .

وبدا حديثه : سعيد .. تعلم اننا لم .. لم ننجب غيرك .. لا اعرف.. لعلها ارادة الله .. انك ابني .. و.. واخي ..

وهنا .. تأمل سعيد وجه ابيه.. في فحص مدقق .

واستأنف الاب حديثه قائلا: لماذا تتباعد عني ؟ لا ... لا تقاطعني دعني اتم حديثي ... أصدقاؤك .. عندما يحضرون اليك .. لماذا .. لم .. لم تحاول — مجرد محاولة — ان تعرفني بهم ... هه ..

اسمع .. انني لم استكمل تعليمي .. كنت اظن ذلك من قبيل اضاعة الوقت ... وهأنذا اليوم ادفع الثمن ... ثم ان صحتي لم تساعدني .. ولم يكن لي عقار أو

أرض أنفق منها فهل ينتقص هذا من مكانتي عندك ؟

وبصوت محزن يواصل كلامه.. انك لا تدري كم احبك .. وكم احب امك ..

وهنا يقاطعه سعيد .. دهشا .. هـه ؟

واسترسل الاب كأنه يشكو للدنيا باسرها .. كم احببتها .. وكم كرهتني .. ليس عندي شيء ..أي شيء امنحها اياه .. غير قلبي .. لا املك سواه .. لكنها ادارت لي ظهرها وليس هذا فحسب بل لفظتني وداست علي بعنادها وكبريائها ..

أتدري .. أتدري انها وهي تزودك بالملابس وتغمرك بالفاكهة والحلوى تبدو وكأنها تطعنني بسكين ؟

انها تمنح ما في ذلك شك .. تمنحني الابتسامة والكلمة والتحية فقط ... كأنني انا سبب شقائها ووحدتها ...

وانت .. انت معي في البيت تجاورني على مائدة الطعام واحيانا تصحبني معها لزيارة بعض الاقارب، لكنني مع ذلك لا اجدك ... ابحث عنك في اليوم عدة مرات فتكون هناك ... معها او مع اصدقائك وكتبك وكما قلته لك ليس عندي شيء .. اي شيء امنحكما اياه .. غير ... قلبي ...

ثم خفت صوته .. وتنهد ..وعاد بذاكرته الى الوراء وقال : وحينما كانت تذهب امك الى الجامعة. كنت اضعك .. هنا .. على ركبتي ... اهدهدك ... اطعمك بيدي هاتين وانت..ثم يتهدج صوته ..وانت تداعب اصابعي .. هذه الاصابع .. التي تأبى ان تلمسها الان حتى وانا راجع من سفر بعيد ...

هيه ... كنت انهض في منتصف الليل واظل اتفنن في اسكاتك عن بكاء طويل لا تعرف انت او انا اسبابه .. كنت اجد في ارقي وراحتك لذة .. لا تعادلها لذة ... لكنك لا تعرف .. وان عرفت .. لا تريد ان تصدق .. فأنا اكرر يا سعيد ان ليس لدي ما امنحك اياه .. غير .. قلبي .

اما الست سنية تلك المراة التعسة ... الوحيدة .. الفقيرة فهي مثلي ... بائسة... منبوذة.. انها تمنحني الابتسامة والكلمة والتحية ولكن على اعتبار اني القبس الوحيد الذي يضيء حياتها فهي تعدني بمثابة اخ لها تماما .. انها تحبك يا سعيد وكذلك تحب امك . وانا ... انا لا اشعر بانسانيتي الا بجوارها ... والان ... الان يا سعيد ما رأيك ؟؟

وتدمع عينا سعيد وتتسارع انفاسه ويخطو نحو ابيه ويمسك بيده التي داعبها وهو طفل صغير ...

وفجأة يفتح الباب وتدخل امه بقوامها الفارع وردائها الناصع البياض وتراه ... تراهما معا ...

وتقول لابنها : هاك بعض الكتب التي طلبتها ...

تضعها بهدوء على مكتبه وتخرج من الباب كأنها طيف ...

تضعها بهدوء على مكتبه وتخرج من الباب كأنها طيف ..

...

وعلى مائدة العشاء يجلس سعيد بين ابويه ونور جديد يسطع على محياه ... تكثر التفاتاته ناحية ابيه ويسأله ويجيبه في نفس الوقت قائلا :

ــ النادي الذي حدثتك عنه من قبل .. يلائمني اعني .. يلائمنا .. نحن الثلاثة ... وهناك ... سأعرفك بيوسف وابيه و ... وسنذهب جميعا الى هناك ثلاث مرات في الاسبوع ... و ...

فتقول امه : هل تناولت من هذا الصنف يا سعيد ؟ و ... وعلى فكرة ... غدا ... الن نخرج معا.. الى السينما ؟.. بعد غد سيتغير الفيلم ..

ورد سعيد وهو يلوك لقمة من بين اسنانه ، لا ... لا يا أمي آسف .. ستكونين معنا في النادي أليس كذلك ؟

لكنه يلمح في عينيها اسى عميقا وهي لا تصدق ما تراه فتقول : لا.. لا استطيع ... يتأمل سعيد محيا امه ويدرك كل شيء ...

وقبل ان يكمل تناول عشائه .. يقوم من على كرسيه ... ويخطو خطوات آلية ... ناحية حجرته .. وبرفق يفتح الباب ... ثم يغلقه .. يجلس امام مكتبه ... ويضع رأسه بين كفيه ويحس بقلبه الفتي يخفق خفقات عالية.. صارخة ثم تنتابه غصة ... لا يزيلها الا شهقات متقطعة يحاول كتمها واخيرا ... أخيرا تسعفه دموعه .. المتدفقة .. الساخنة ..

**القاهرة** **هدى جاد**

# تحت المطر

صديقتي .. تساقط المطر ..
وليس في مواقدي حطب
وليس في لهاتنا غناء
يفيء في دمائنا الضجر .!
تساقط المطر ..
وقطنا ، ينام في العراء
يقرقر الحكاية الرتيبه
ببلدتي الفقيرة الكئيبه
وحيث لا لحوم ، لا طعام
تمر في جماجم الظلام
مواكب المواسم الجديبه .!

*

.. وطفلنا صديقتي سريره العتيق
صريره ، يعكر السكون
يحز في نفوسنا الغريبه
بموطن ، جراحه العميقه
تجسدت روائعا قلوبنا الرقيقه
وفجرت بفكرنا الطليق
مشاعرا سخية خصيبه ..

*

صديقتي .. وعمرنا حذر ..
يلفنا .. يضمنا سغب
وليس في مواقدي حطب ،
وجاءنا المطر
مباغتا .. تساقط المطر ..!

*

دروبنا صديقتي ، عسيرة بعيده
وشمسنا تراجعت كسيرة بديده ..
ونجمنا يغيب عن سمائنا السعيده
ونحن يا غريبتي .. نسير ..
بدون ما خريطة جديده
دروبنا بعيده ..!
وقريتي — صديقتي — ذليلة السمات
تجزها اسنة الغزاة
فترتمي ، جريحة الكرامه
رخيصة ، يبيعها الطغاة
.. وينزل المطر ..

*

صديقتي ، حياتنا ، ضياع
تسكعا نرودها ، جياع
وليس في بيوتنا متاع
نبيعه .. لنشتري غذاء ..
حياتنا هباء

*

.. وجاءنا الشتاء ..
يزج في قلوبنا الصقيع والفناء
وطفلنا — وحيدنا — يصارع المرض
وليس في جيوبنا ما يشتري الدواء
فننطوي على مضض ..
ونلعن المرض ..

*

وجارنا .. صديقتي يموت ..
انينه تجاوز البيوت
وفتت الحجر
امنقذ لجارنا الصموت ؟؟
فجارنا .. يموت ..!!

*

مدينتي — صديقتي — لا ترحم الفقير ،
كثيرة الرياء ، والدجل
بليدة .. كأنها بقية القرون
نساؤها ، تقصر الثياب
تسير في الضباب
ليعبث الشباب بالغزل
فتولد المسوخ في خجل ..!

*

ونحن يا غريبتي .. يلفنا شتاء
وليس في مواقدي شواء
وليس في اكفنا ذهب
لنشتري الحطب
لطفلنا ، لقطنا الحزين .. يا شتاء
لجارنا .. ونجلب الطبيب والدواء ..

*

صديقتي .. تساقط المطر ..
وقطنا يقرقر الحكاية القديمه
وطفلنا يئن من جراحه الاليمه
ونحن يا عزيزتي نقاتل الخطر
فعنفنا يصارع القدر
لعلنا .. نقابل الصباح بالربيع ؟؟
صديقتي .. وجودنا .. قدر .

**دمشق** **اسماعيل عامود**



عيسى الناعوري

# مع الكاتب المصري طه حسين

للمستشرق الايطالي اومبرتو ريتسيتانو

ترجمة عيسى الناعوري

يجدر بنا قبل كل شيء ان نوضح هذا العنوان الذي تجعله الاسماء والمفردات المألوفة لدى الناشئين غامضا لدى من يجهلون العربية . وكما يعتبر جوبيتر مقدما على الآلهة ، كذلك نعطي افضلية التقديم الى طه حسين ، الكاتب المصري نشأة ومقاما ، الذي في مدى خمسين سنة من نشاطه الفريد الخصب لم يدع لونا من الوان الادب الا طرقه : من النقد الادبي ، الى المقال ، ومن القصة الى الرواية ، ومن السيرة — التي سنوجه اليها اهتمام القارىء بوجه خاص في ما يلي — الى المواضيع الاجتماعية التي بذل فيها ، وما يزال يبذل ، عناية فذة ناجعة للاصلاح الاجتماعي ، الى تعريب المآسي اليونانية وبعض الآثار المسرحية الفرنسية الكلاسيكية .

والواقع ان محاولة رسم خطوط موجزة من حياة الرجل الذي يعتبر اليوم من اعظم ممثل للثقافة العربية المعاصرة ، ليست من الامور السهلة . وتزداد الصعوبة متى علمنا ان مؤلف السيرة التي سنقتطف منها ، في ما يلي من الصفحات ، اشياء عن طفولته وشبابه ، كان وما يزال الى اليوم زعيم مدرسة وحامل راية ، ابتدع اساليب وافكارا كانت الى عهد قريب موضع الريبة في البيئات المصرية التي كانت تكره كل جديد ، وراح يدعو اليها ويدافع عنها . ومن الحق أن نضع طه حسين ، مع عدد قليل آخر من ابناء جيله ، في مكان المحور لتلك الحركة التي ظهرت في مطلع هذا القرن ، ودفعت مصر والعالم العربي الى الامام في حقول الثقافة والتعليم : فبعد ان كون ثقافته على ايدي فئة من اعلام العلماء الاوروبيين ، تولى بنفسه مهمة تعليم جماعة من الدارسين وتوجيههم ، بحيث اصبح اعدادهم وطريقتهم في البحث ، في نظر البعض ، في مستوى من النضج يجد اطيب الاصداء في اوروبا والشرق. وبعد هذه الفئة الراسخة القدم ، والتي ما تزال قليلة العدد ، تأتي فئة من الشبان الجدد النشيطين يقوم عليهم مستقبل الثقافة في مصر .

وليس في وسعنا الا ان نكتفي بهذا المقدار من الاشارة الى النهضة في الشرق العربي، لان ما نقصده في هذا المقال الموجز ليس سوى الترجمة السريعة لصفحات من اهم مؤلفات طه حسين الملتزمة ، وهو « كتاب الايام » . ان هذا الكتاب لهو كتاب سيرة ، يقع في جزاين ، وقد نال حظا من الشهرة فريدا ، فترجم الى نحو عشر لغات غربية وشرقية ، ونامل ان يتاح لنا حظ ترجمته كاملا الى اللغة الايطاليـة .

« على جميع الناس ، من كل صنف ، اذا كانوا ذوي فضل او ما هو شبيه بالفضل ، ما داموا قد قدموا خدمة جديرة بالذكر ، ان يكتبوا سيرتهم بايديهم . ولكن يجب ان لا يشرعوا في مثل هذا العمل الجليل قبل ان يتجاوزوا الاربعين من العمر » ( ب . تشيلليني — في سيرته التي كتبها بقلمه ) .

ويبدو ان طه حسين قد عمل بنصيحة اديبنا تشيلليني هذه ، فامالى الجزاين اللذين تتألف منهما سيرته بعد نحو عشر سنوات من الحوادث التي سجلها فيهما . وتنفتح الصفحات الاولى على ذكريات غامضة باهتة عن الزمان والمكان — عن قرية في مصر الوسطى ، في نحو اواخر القرن الماضي — اللذين شهدا المؤلف طفلا في وسط عش عائلي يضم ثلاثة عشر شخصا ، ما بين اخوة واخوات . وهذا الغموض الباهت يجد صداه في الخطوات غير الواثقة ، والحركات الحائرة التي يعرفها من حرم من نور البصر ولكنه استعاض عنه بنور الروح الاشد ضياء . والواقع ان طه حسين قد فقد بصره منذ نعومة اظفاره ، حتى ان من لا يعرفه يستطيع ان يلمس في اسلوبه شيئا غير عادي ، ويحس ان ذكرياته وان احاديثه قد « أمليت » املاء ، ولم « تكتب » كتابة بيد صاحبها ، فهي موكولة الى قلم آخر غير قلمه ، حتى يكاد لا يوجد حل للاستمرار بين صياغة

---

(١) كتب صديقنا الاستاذ ريتسيتانو هذا المقال تعريفا بكتاب (الايام) لطه حسين ، وعرضا سريعا لما سجله فيه طه من ذكرياته الخاصة ، وما صور به مجتمعه . وقد ترجم ريتسيتانو فيه صفحات عديدة من (الايام) الى اللغة الايطالية ( ع . ن ) .

الموضوع والتعبير . والذي اعتاد معرفة تركيب الجمل عنده ثم يتاح له ان يستمع اليه في خطاب او محاضرة ، يكاد لا يلحظ اي اختلاف في طريقتي المؤلف في الاتصال بجمهور القراء والمستمعين ، بينما هما شديدتا الاختلاف لدى الآخرين . والواقع اننا حين كنا على مقاعد الدراسة في جامعة القاهرة، قبل عشرين عاما ، كنا نفكر في ان الخصائص الصرفية والنحوية للنثر العربي المعاصر لا بد ان تكون – ويمكن ان تكون – غير مختلفة عن تلك التي يراها طه حسين اذا قدر يوما – كما نتفاءل ، او نرجو ، لا ندري – ان يوجد حل للمشكلة الشائكة الناجمة عن البون الواسع في البلاد العربية بين الفصحى واللهجات العامية العديدة ، كما يقترح عدد غير قليل من الادباء : فالمنطق يقضي بان يكون الاختيار من بين تلك اللهجات التي ظلت في مختلف العصور اقل بعدا ، من حيث التركيب الصرفي والنحوي ، عن الفصحى الحديثة . ان القضية التي شغلت جامعات بغداد ، والقاهرة، منذ ثلاثين سنة ، واشترك فيها الباحثون العرب من المغرب الى الجزيرة العربية ، ما تزال الى اليوم موضوعا للجدل والنقاش .

ولنعد الآن الى كتاب ( الايام ) . ان الخصائص البيئية والوصفية ، التي تتجاوز كثيرا ما ينتظر من رجل في مثل وضع المؤلف الصحي ، حية في ذاكرة طه حسين عن طريق الاحساس الشخصي او ما يرويه له الآخرون ، ولا سيما ما كان منها ذا ارتباط بطفولته : كالسياج الذي يحد من انطلاق خطاه نحو الحقول ، والجدول الذي يسقي الارض المحروقة ، ودكان بائع الملابس المستعملة ، والطريق المؤدي الى المسجد والى مدرسة القرية ، وذلك « الكتاب » الذي يوقفنا طه حسين عنده طويلا ، والذي سنصوره باختصار فيما بعد . وضمن هذا الجو المحدود تظهر صور الاشخاص الاشداء التصاقا بحياة الطفل ، وهم : الاب ، والام ، والاخ الازهري ، ثم – في الجزء الاول على الاخص – صورة « سيدنا » ، مربي القرية الاخرق ، سواء في ما تثيره من سخرية طريقته في ممارسة مهنته ، اذ يصب السور القرآنية صبا في ادمغة هشة، هي ادمغة الاطفال الموكولين الى عنايته غير الحكيمة، ام في هواياته المهووسة. وهكذا تتعاقب بملء الحيوية الاشارات الى سير الاشخاص– وهي اشارات تتلاءم مع رغبة المؤلف الحيية في عدم ابراز شخصه في الدرجة الاولى – في وصف دقيق ، وحركة ايقاعية بين هؤلاء واولئك . وبالتالي فوق كل عنصر ، سواء اكان منطبعا في النفس ام وصفيا ، تتميز تلك اللمحة الدالة على الصفاء والخضوع التي يتسم بها كل نثر طه حسين ، في القصة والبحث ، والتي اذا نظرنا اليها من وجهة النظر الجمالية الصرف قد تبدو لنا ميزة اسلوبية ، اما اذا وزناها الى جانب العاهة التي ابتلي بها المؤلف – كما يقتضي الواجب ان نفعل – بدت لنا على الاصح انعكاسا لخضوع وادع للمصير الذي شاء ان يميزه عن اشقائه : وهو اختلاف رآه بجلاء – وهو يذكره دون ان يثقل به نفوسنا ، فكأنه لا يتحدث عن نفسه – لقد رآه حين عرف انه لا يملك من نور العين مثل ما يملكون .

وما اكثر الصحائف اللذيذة التي يستطيع ان يجمعها القارىء ، والالوان الشعبية التي يجدها محبو الفولكلورات المحلية ، والعادات التي يتعلمها المؤرخ المعني بدراسة عادات الشعوب ، والتفاصيل الكبيرة والصغيرة للحياة العائلية والاقليمية التي تتجلى لعيني من يطالع صفحات كتاب ( الايام ) . وطه حسين يعرف هذا ، ولكنه مع ذلك يتساهل في الوصف – الانطباعي بحكم الضرورة – حريصا في الوقت نفسه على ان يكون العرض الطلي الرشيق للاشياء الخارجية متمما لصورة البطل، ولصور الاشخاص الثانويين العديدين . ولا تمضي القصة على وتيرة سرد الوقائع الجافة : فكثيرا ما ينساق الى الشطحات الفكرية ، فيميل الى نوع من الشرود يستسيغه القارىء . وهو يحب التقديم ، ولكن كأنما يجد لذة ، وهو يعود الى التذكار ، في ان يجمع ما يمكن ان يظل التذكار يقدمه له من صور . وقد يلجأ الى اهمال الشخص الذي يتحدث عنه – اي هو نفسه – اهمالا آنيا اذا احس بأن عليه ان يستبدل به في تلك اللحظة اعمالا او اشخاصا او اشياء ذات مشاركة في احاسيس البطل ، او هي من حوافز اعماله وانفعالاته ، مما يقتضي ادخالها في المشهد لصلتها الحميمة به .

اما في ما يتعلق «بالكتاب» ، الذي سيصبح مألوفا حتى لدى القراء الذين يجهلون العربية ، فان اللفظة تعني مدرسة اولية قروية كانت واسعة الانتشار في البلاد العربية الى امد قريب ، وقد استعيض عنها الآن في البلاد الشرقية الناهضة بمعاهد افضل وارفع مستوى وتأثيثا . وجدير بالذكر ان التقليد القديم قد اظهر لنا مهمة المعلم مقرونة بشعور عميق من الازدراء ، نلمسه بسهولة في الشعر حينا ، وفي الامثال المعبرة عن ذلك الاحتقار احيانا . ان انتشار الاسلام قد جعل من الضروري تنظيم التعليم في اراضي الامبراطورية الاسلامية الواسعة ، فعهد بذلك الى اساتذة مسلمين كانوا يمارسون عملهم اولا في المساجد او في مساكنهم الخاصة ، ثم اتخذ له مظهرا جديدا فيما بعد في « الكتاب » ، حيث كان التعليم في بادىء الامر يقتصر على تلاوة القرآن تلاوة تجويدية ، وتحفيظه للطلاب غيبا . وظل الامر كذلك حتى ظهرت ( المدرسة ) التي انتشرت من بغداد في النصف الثاني من القرن الحادي عشر في العالم الاسلامي باسره . وكان الخلفاء والامراء والحكام المستنيرون يدعمون هذا النوع من المدارس الحقيقية دعما كبيرا ، فقد كانوا قبل عهد تعميم المعاهد العلمية يبدون اهتماما بالتعليم الذي كان في الغالب محصورا في ابنائهم ، وكان يجري في القصور الاميرية . وعند ذاك اخذت تحل ، شيئا فشيئا ، محل الامثال والاقوال التي تزدري بمهنة المعلم عوامل

اخرى من التقليد الاسلامي ترفع من شأن العلم « الذي يجب ان يطلب ولو في الصين » ، والعلماء الذين «مدادهم افضل من دماء الشهداء » .

ولكن لندع الان الكلمة – التي لا تبلغ كلمتنا مدى اشراقها – الى طه حسين نفسه ، الذي يقدم الينا عن ( الكتاب ) لوحة عظيمة الحيوية في الجزء الاول من كتاب ( الايام ) ، فنترجم في ما يلي منه بعض الصفحات الاكثر عذوبة ، آملين – او واهمين – ان نكون قد عرفنا كيف نتجنب اي معنى من معاني البعد عن الروح الاصيلة ، ونجحنا في المحافظة ، حتى في الترجمة الايطالية ، على سهولة الوصف والتكرار اللذيذة التي يخشى غالبا ان يتحول ما في اصلها العربي من قوة التأثير الى صناعة لفظية متكلفة عند الترجمة . لقد ذكرنا من قبل ان المؤلف يتحدث بضمير الغائب ، وهذه موضوعية تفصل المؤلف عن بطل القصة ، فتضاعف بذلك من اثر الروح « الغسقية » – التشاؤمية الكئيبة – المنتشرة انتشارا واسعا في الجزاين .

( هنا ينقل ريتسيتانو الى اللغة الايطالية صفحات عديدة من الجزء الاول من ( الايام ) من بداية الفصل (٥) الى منتصف الفصل (٩) ، اي من الصفحة ٢٨ الى الصفحة ٥١ من الكتاب ، معلقا على ذلك بكثير من الهوامش التي تعين القارىء الايطالي على فهم الامور التي يعرض لها المؤلف . ولما كنا لا نستطيع ان ننقل هنا النص العربي الاصلي ، لذلك لا نرى فائدة من ترجمة تلك الهوامش – القيمة ، من دون شك – لعدم وجود النص الاصلي الذي تفسره ) .

ونحن مضطرون الى عدم الانسياق وراء لذة متابعة المؤلف في وصفه للمراحل التالية من حداثته في القرية ، لكي ننتقل – مع الجزء الثاني من ( كتاب الايام ) – الى القاهرة ، حيث يمضي « الصبي » ليتابع دروسه في الجامع الازهر .

يكاد الازهر يكون معاصرا لتأسيس مدينة القاهرة – وقد تأسست على اثر فتح الدولة الفاطمية لمصر عام ٩٦٩ ، على يد القائد جوهر ، الذي يقول التقليد انه من اصل صقلي ، وقد اعتقه الخليفة المعز لدين الله – . وقد اكتسب هذا المعهد الالفي منزلة رفيعة على توالي العصور ، وما يزال مقصد كل راغب في التخصص في الشريعة الاسلامية . اما طريقة التعليم فيه – باستثناء بعض المواضيع التي لم تكن ، الى سنوات خلت ، داخلة في البرامج الرسمية لذلك المعهد – فهي ، الى حد ما ، الطريقة التقليدية ، فما يزال الى اليوم ، كما كان في الماضي البعيد ، يجلس افواج الطلاب من مختلف الفصول – ولا سيما الابتدائية – في حلقات ، متربعين على الارض ، من حول معلم في جانب من رواق « المسجد – الجامعة » ذي الاعمدة العديدة . وفي تلك الطريقة الازهرية التي ظلت امدا طويلا – والى عهد قريب جدا – لا تتغير رغم تعاقب الزمن ، نجد دليلا آخر على التمسك بالتقاليد التي تكاد تدل على ان هذا المعهد الاسلامي العتيق يتغاضى عن الفتوحات الانسانية الجديدة في حقول التعليم مع ان الشرق العربي قد اخذ بها في الآونة الاخيرة ، بالرغم من المقاومة التي ابدتها بعض الجهات الرجعية .

غير اننا نؤثر ان يحدثنا طه نفسه عن هذا المعهد الازهري مباشرة ، فقد التحق بصفوفه حين كان مدرسوه لمختلف المواضيع شديدي التمسك بالماضي ، ويؤلفون سدا منيعا في وجه حركات الاصلاح الاجتماعي والثقافي الناشئة .

ويبدو ان في تطلع الطالب الازهري الشاب الى الحاجة الماسة لحرية النقد ، تنعكس اولى بوادر التجديد الثقافي في مصر ، التي اصبح في الامكان خلقها عام ١٩٠٨ بانشاء كلية الآداب في القاهرة ، التي كان المؤلف بين الطلاب الاوائل الذين التحقوا بها للدراسة اولا ، ثم للتدريس فيما بعد . وهناك حادث فريد جدير بالتسجيل ، وهو ان طه حسين قد بدأ في رحاب ذلك المسجد الازهري اولى حملاته على جمود الاوساط المحافظة ، الذي يبدو جليا في تلك الدروس التي تعطى بشكل تلاوة تجويدية آلية كان لها اثرها في ثورة « الصبي » الاولى على تلك الاساليب التي عفى عليها الزمن . ولن تستطيع الاعوام ان تعقد صلحا بين الخصمين اللذين سيمضيان في تصادمهما كلما هاجم احدهما الآخر في الجانب الذي يتمسك باثارته ، او في القضية التي يرى ان الواجب يفرض عليه المحاربة في سبيلها . ومنذ عهد قريب ثار جدل عنيف بين طه حسين والازهر في صدد امتيازات التعليم التي يريد طه حسين ان تقتصر على كليات الآداب ، ويريد الازهر ان تمتد ايضا الى معاهده الدينية .

ولنعد الآن الى طه حسين ، ابن العشرين عاما ، وهو على عتبة تلك الجامعة المدنية التي سيتصل فيها ببعض ذوي الكفاآت العلمية العالية من المعلمين الاوروبيين – وبينهم من مستشرقينا الايطاليين : اغناطيوس غويدي ، ودافيد سانتيلانا ، وكارلو الفونسو نللينو – ولا نلبث ان نجده بعد ذلك في فرنسا ، في السوربون ، ثم من جديد في بلده الاصلي ، حيث لا يعتم ان يقف في طليعة الفئة المصلحة التي كان لها الفضل في رسم السبل في مصر ، وبشكل غير مباشر في العالم العربي ، للتحرر من قيود الماضي الذي لم تظهر مقدرته الفنية على تقبل الجديد ، وما فيه من عناصر الاخصاب والانماء الا بعد ان عالجوه ووضعوه امام حاجات العصر الجديدة .

لقد كان للمعركة بين المجددين والمحافظين في مصر ، في بعض الاحيان ، مواقف دراماتيكية ، ولكنها لم تنجح في قهر منطق طه حسين وبديهته الصريحة . لقد عاد طه من فرنسا مزودا بتهيئة فكرية في العلوم الانسانية لم تدفعه

الى التنكر التقليد تنكرا تاما ، ولكنها كانت ذات اثر كبير في ارهاف حسه لتفهم الاشياء ، ولتقدير النقد الموجه الى التعابير التاريخية والادبية الخاصة بالاسلام — وقد اظهر ذلك على اوسع مدى في اعماله الادبية العميقة الرصينة — وقد انصرف طه الى الحياه العلمية دون ان يهمل تجنيد قلمه في الصحافة . لقد كانت تدفعه الى ذلك روح التجديد المتوثبة فيه . وبالفعل استطاع عن طريق صفحات كبريات الصحف المصرية ان ينشر في الناس دعواته الحارة المؤثرة للاصلاح الثقافي التي راح يفضح بها الرجعية ، ويحارب الاساليب التي كانت حينئذ في صراع حاد مع ما يتطلع اليه البلد ، من ناحية الثقافة ، الى اقتفاء اثر البلدان الغربية التي كانت الاتصالات الاولى المثمرة معها ، والتي بدأت في عهد محمد علي ، قد قويت في عهد خلفه اسماعيل ، في القرن الماضي .

وهذا الذي ذكرناه قاله طه حسين ، او ترك لفطنة القارىء ان تتبينه ، في بعض صفحات الجزء الثاني ، الذي نترجم شيئا منه في ما يلي للقارىء الذي لم يتح له ان يتذوق حلاوة نثره في اصله العربي .

( هنا ايضا يترجم ريتسيتانو الفصل (٩) من الجزء الاول من ( الايام ) الممتع ، ولكن هناك معلومات حديثة تحملنا على الاعتقاد بانه عاكف في هذه الايام على املائه ، هنا في ايطاليا (٢) . والمادة التي سيشتمل عليها تستحق منا الانتظار المتلهف : فالواقع ان من المنتظر ، وقد وصل المؤلف في الجزء الثاني من كتابه الى عتبة الجامعة المصرية ، ان يوقف القارىء على الانطباعات الاولى التي اثارتها في نفسه البيئة الجديدة التي اتيح له فيها ان يكون ثقافته على ايدي كبار مستشرقينا الايطاليين . وقد ذكر المؤلف من بينهم كارلو نللينو ، واثنى في مناسبات متعددة على فضله ، كما انه في مقدمته لكتاب ( تاريخ الآداب العربية ) الذي جمعت فيه الدروس التي القاها استاذنا الخالد نللينو في الجامعة المصرية عام ١٩١٠ — ١٩١١ ، ذكر ان هذه الدروس « كانت هي الموجه الاول لنهضتنا العلمية في دراسة الادب مباشرة او بالواسطة ، وجهت تلاميذ الاستاذ الذين سمعوا منه فبحثوا وتعمقوا واحسنوا الفقه ، ثم وجهت اجيالا من الشباب سمعوا على هؤلاء الطلاب الذين اصبحوا اساتذة ، وقرأوا لهم حين اصبحوا مؤلفين » .

ولكننا نسيء الى الحقيقة والى مواطن الاحساس لدى طه حسين نفسه اذا نحن لم نختم هذا العرض للمؤلف المصري بترجمة الصفحات الاخيرة من الجزء الاول من كتابه ( الايام ) التي شاء ان يهديها الى رفيقة حياته : السيدة طه حسين ، الفرنسية المولد والثقافة ، والتي نقرأ ثناءه العاطر على ما تتحلى به من انكار الذات والتضحية في ختام اعترافاته ، التي جاءت اكثر عمقا وتأثيرا بما شاء ان يغلفها به من تمويه ذكي ، اذ جعلها الوالد الكفيف البصر خطابا الى ابنته — وهي اليوم زوجة رجل ايراني نابه — يحدثها فيه عن والدتها ، لكنه يرمي من ورائه الى الاعراب للصغيرة ولجمهور القراء عامة عما يدين به لها من عرفان ، منذ ان اسلم الى يديها الحانيتين مصير نكبته الاليمة .

( وهنا يعود ريتسيتانو فيترجم الى الايطالية الصحائف الاخيرة من الفصل (٢٠) من كتاب ( الايام ) — الجزء الاول — التي يوجه فيها طه حسين الخطاب الى ابنته ) .

عمان — عيسى الناعوري

(٢) ظهر هذا المقال في عام ١٩٦١ ، في مجلة ( حوليات كلية الماجستير في باليرمو .

## وجهها الثاني

مهداة الى سعيد عقل

عيناك ترتعشان في التيه
ويدي تدحرج لعبة الوقت
الخريف في العينين منتظر
ان تركن النبضات في الميت
والريح تعبر صوب نافذتي
نفثات من صوتي
وتدب من اغلى اغانيه
ذاك الجدار ، تكاد تعبره
عيناي ، لولا قبضة الموت
الوجه هذا الوجه اعرفه واحس اني ساكن فيه
قلبي على الاهداب منطرح وفمي على جرح يناغيه
لو مرة اغلقت نافذتي
ووهبت لي صمتي
يا وجهها الشمعي .. يا بيتي
اطعمت للنيران زوبعتي وهربت من اغلال سجاني
ووهبت للحفار اكفاني
واتيت صوب سفينة عبرت
بي مرة ... للعالم الثاني
حيث الضفاف الخضر اغنية
شقراء من خصلات نيسان
والضحك في العينين مرتجف
والوجه .. ينسى وجهها الثاني
وعلى الجبين جزيرة ومدى
في الفجر يلقاني
يدها وتمتمة على فمها وحديقة في زند بستان ..
هب لي عروق الليل تطعمني ، يا وجهها الثاني
والصمت في الاهداب مرتجفا ..
هب اضلعي .. لحظات نسيان ..

بغداد — رشدي العامل

# الحضارة والادب

بقلم يوسف حوراني

***

عندما كان ادباء عصر الاساطير يزيفون انساب الالهة ليولدوا من سلالاتهم احد الابطال لم يكونوا يفعلون غير ما يتطلبه ابناء مجتمعهم ويطمحون الى تحقيقه في عالم الواقع ذي الاسماء والهيئة والابعاد . والغاية الكبيرة العليا من هذا الالحاق العائلي للابطال المنتصرين بعالم الآلهة الخالد ذي القوة والجبروت ، هي الشعور بامتلاك عالم مثالي بامكاناته وامجاده ، عالم سام خالد تنقل اليه آمال الشعوب المنتصرة وامانيها مع الابطال المجيدين الذين قادوها الى النصر والتفوق .

وهكذا كانت تصل نشوة النصر وحسن التفوق لدى الشعوب الغالبة المسيطرة الى تجاوز الارض ذاتها التي تعيش فوقها الشعوب المغلوبة والاناس الضعفاء وتجري في جوها اليومي المكمد الوقائع والاحداث .

وحين نرى الى هذا الحس الساذج البريء في حضارات الفكر الاسطوري الماضية ، ونستقرىء ما كان له من طاقات عمل وامكانات ابداع ، نجد ان الفنانين والادباء فقط هم من كان يفهمه ويستقصي ابعاده ليعطيه الشرعية في عالم الخيال المتسامي في اللانهايات .

كما اننا حين نرى الى العصور التي جاءت بالابطال الآلهة وانصاف الآلهة ، تلك العصور التي نشطت فيها روح التمرد ورغبة المغامرة ، حين ننظر لها بتأمل نجدها دائما عصور ازدهار وابداع حضاري تسامى بها الانسان على نفسه وربط انسانيته بالآلهة ذاتها ، بوشائج من حسن فني عظيم نظم له فوضى سلطات الغيب ، وجعله يشاركها بائتمان في قدر التحكم بمصير الكون ومجاهيل الاماني والاحلام .

وهكذا كانت العهود التي نشط فيها الادب لتفسير عالم الغيب بوساطة آلهة الاساطير عهود ابداع ونصر في المغامرة مع كل جديد ، وفي جميع المجالات . وبينما تكون عوامل المجتمع وحركة التاريخ الانساني فيه هي التي بذرت هذا الحسن المتعالي ونجد الادب بما له من رموز تعبيرية وامكان تشكيل للوقائع الخيالية قام باثبات هذه النوازع وتكريسها لاعلاء شأن الانسان واكبار احاسيسه ، او انه اجتهد لتبرير سقوطه وتخاذله عندما يتكه حس السقوط والتخاذل .

فرسالة الادب دائما هي هي في كل الحضارات ، وفي كل فترات التاريخ . ومهمته الرئيسية تكون في تجسيد ما يكتنف الانسان من غوامض وتعليلها ، وتقريب المبهم من احاسيسه وابرازه ، وربطه ما امكن له الربط بما يعتمل في النفوس من امان وآمال وبراءة عواطف . وان يكن الادب اضحى في الحاضر ذا مجالات قصيرة ومداليل ضيقة حددها له الواقع وامكاناته التي سيطرت فيها مفاهيم العلم الموضوعي واحتجزت لها الاحتمال وتكرار الحدوث ، ان يكون في الحاضر قد حرم من الكثير في مجالات الخيال الانساني الطامح كتلك المجالات التي حكمها المنطق ، فهو في الماضي كان ذا فسحة رحيبة تنمو فيها العاطفة وتسرح طليقة حرة لتأخذ الشكل الذي تشاء من العالم الغامض العجيب المحيط بنا .

وهكذا كانت الرموز والايماضات الادبية الشعرية التي نقرأها في الاساطير تكشف وتنير ليس فقط وجدان الانسان وحده المرتبط بالاشياء بعاطفة طبيعية او بميل نفعي ، بل تكشف وتنير الاشياء وعلاقاتها بينها بوساطة الماعات شعرية ذات قدرة تتفوق على منطق التجربة ذاته في ممارسة الاستكشاف وتجسيد الحدس . وبهذه الصفة المتملكة في عالم الغموض والرموز استطاعت الاساطير الادبية ، كما استطاع كل عمل ادبي كبير ان يخلد متجاوزا كل زمان ومكان ، باقيا على وثاقة صلة ببراءة الاحاسيس الانسانية التي ترافق الانسان منذ بدئه ان يكون انسانا .

ولعل اسطورة قصيرة من اساطير ما بين النهرين تكشف لنا هذه الصفة الخالدة وترينا صلاحها لكشف معنى انساننا المعاصر كما معنى الانسان الذي كتبت رموزها له .

تروي الاسطورة ان الاله « ايا » اتخذ له صديقا من البشر يدعى ادبا وخصه بحبه فباح له باسرار ومعارف لا يعرفها الا الآلهة انفسهم ، حتى انه استطاع التحكم بالرياح واخضاعها لارادته . . ففوجىء الاله بهذه الحكمة العلوية وقرر دعوة صديقه الى مجمع الآلهة في السماء ليبحث معه في هذه الاسرار . وقد خشي ان يأمر الاله آنو ( الاله الاعظم ) بقتل صديقه الانسان لعدم مناسبته للعيش في الارض بمثل علمه الوفير ذاك . فراح يرسم له الخطط لينقذه من الموت .

اشار عليه ان يرتدي ثياب الحزن ويحشو الرماد على راسه ليخدع الحارسين اللذين يحرسان باب الآلهة بزعمه انه حزين لانهما فارقا الارض دون عودة . وقد نجح بخدعته هذه ونال عطف الحارسين وتأييدهما له في مجلس الآلهة . وهنا استدرك الاله « ايا » تورطه مع هذا الانسان وشعر بالندم اذ تخيله سينال الحياة الخالدة ويبقى في مجمع الآلهة بعد ان يجتاز الامتحان الذي سيعرض له ، فقرر ان يعيده للارض كي ينهي حياته كما ينهيها باقي الناس . فاوصاه بان يقبل الملابس التي يقدمها له الاله آنو وان يرفض الطعام او الشراب اللذين سيقدمهما له لانهما طعام الموت وشرابه حسب زعمه .

# اوبة نازح

يا ربة الشعر ردي بعض الحاني ... فقد عراني صمت ليس من شاني
غاضت ينابيع في نفسي يفجرها ... حب الجمال وما يوحيه وجداني
قالوا استرحت وفاتهم مكابدتي ... شوقا يؤججه ما كان عناني
وكيف راحة قلب دأبه أبدا ... خفق وشجو فظل المتعب العاني
الا سويعات أمن في ظلال هوى ... تحفه روضتا وصل وتحنان
فردوس روحي على ارض الشقاء وفي ... متاهة العيش جناتي وبستاني
عدا الزمان على ما كان متعني ... به ففارقت احبابي وخلاني
ان كنت فارقت احبابي فما برحوا ... يضمهم في ضلوعي ذلك الحاني
الفان في قلب كل منهما سكنت ... على النوى والتنائي صورة الثاني
ان طال بعد جذوري عن منابتها ... دب الجفاف الى زهري واغصاني
وصوحت همسات الشعر في اذني ... وأخمدت في ذرى الاحساس نيراني
واطبقت ظلمة عمياء باردة ... على كياني وهبت ريح أشجاني
وكدت انكر نفسي حين ابصرها ... في سعي يوم ليوم محض جثمان
لا بد من عودة للروح من امم ... ترد حسي وتحيي في انساني
انساني الضائع الملهوف مذ لبست ... دنياه في ناظريه زي اسوان
الى الحمى طار بي شوقي وقد مرقت ... أم النسور شهابا فوق كيوان
طيري وحثي الخطا فالفجر قد نشرت ... انواره مشرقات ثوبها القاني
لعل نهلة ماء من معينك يا ... مصر الحبيبة تطفي حر ظمآن
ان التي انكرتني لست انكرها ... وكيف نكران اقوام واوطان
وسوف تنشر في يوم كنانتها ... فتعرف السيف عضبا بين عيدان
هوى لقومي مذ ايفعت يملكني ... ويستوي فيه اسراري واعلاني
عليه احيا والقى الله وهو على ... يسراي ان شع في يمناي ايماني
هبطت ارضا ربا من تربها جسدي ... كانت لعهد شبابي خير ميدان
فانعشت ريحها ما كان مختنقا ... من الاحاسيس في كف النوى الجاني
وردت الروح للممعود ثانية ... وراح ما كان من همي واحزاني
شربت خمر معادي من معادنها ... فصرت ارفل في اثواب نشوان
لكن حسرة نفسي ان ما نعمت ... به بمصر سيطويه الجديدان
ايامنا في الحمى سرعان ما انصرمت ... كانها في الكرى احلام وسنان
وعدت للوحشة الخرساء امضغها ... واحتسي مللي والشوق ندماني

ليوبولدفيل — جمال مرسي بدر



وفي المجلس اقر الاله الاعظم بعلم ادبا وسعة معارفه فقرر ان يبقيه خالدا في السماء بعد ان انفصل بحكمته عن الناس سكان الارض . فأمر له بملابس وطعام وشراب هما طعام الخلود وشرابه فأخذ ادبا الملابس ورفض الطعام والشراب استجابة لنصيحة الاله « ايا » صديقه ، وخوفا من الموت الذي ظنه يكمن فيهما . واصر على رفضه فكف الاله عن مطالبته ، وقال له : « يا ادبا ! لقد رفضت ان تأكل من طعم الحياة فعد الى الارض ومت » وهكذا عاد ادبا الى الارض ومات كما يموت سائر الناس . .

فهل ترى هذه الاسطورة تقف عند انسانها فقط ؟اليست هي للانسان وقدره في كل زمن ومكان ؟ فادبا المعزول بحكمته عن باقي الناس يولد ويموت كباقي الناس ، حتى وان ارادت الالهة له الخلود فهو بشكه وقابليته للخدعة ، يرفض هذا الخلود . وهنا تبدو الحكمة العظمى . حكمة العبث والمستحيل في حياة الانسان . حتى لنخال جميع ما جاء من فلسفات وابحاث في هذا الموضوع كان اقتباسا عن هذه الاسطورة الكبرى التي رمز بها الفنان القديم الى الانسان وقدره الغريب .

**يوسف الحوراني**

انتهى المساء منذ وقت بعيد .

في سماء مشرقة ، شبه زرقاء . هدير سيارات . انوار في تل قريب . ما اعذب ان يسبح المرء في الفضاء خفيفا رشيقا .

انها تتخيلني ان اسبح في الفضاء، خفيفة رشيقة . ولكن اين انا ؟

انها تتخيلني احيانا بعض الدخان .

لقد كانت تبحث عني منذ قليل . ذكرها بي قول فتاة كانت ايضا من معارفي ، كانت تبتسم بشكل مرعب وهي تبث كلامها « عساها الان سعيدة . لعلها اسعد . »

وذكرها بي قول رجل كان ايضا من معارفي قال لها هذا المساء :

— ما حدث لها لامر فظيع لا يصدق .. لقد كانت فتاة مرحة مرحة جدا هذا ما يجعلني استبعد اي احتمال اخر .. لقد كانت فتاة مرحة .. ولكن من يعلم ؟

انني الآن لوحة حية ذات وجوه متعددة . اظهر مبتسمة مهللة الاسارير وفجأة قلق مخيف سحاب اسود يسري الى اللوحة .

في هذا السكون تحاول ان تتمثلني .. « صوري كما رأتها » .

صورتي بالمرسم وانا جالسة على ذلك المقعد المرتفع ارسم اناء نحاسيا، ابريقا على الاغلب .

قالت لي : احب ان ارسم انا أيضا .. سارسمك انت ؟

قلت لها : حسنا هيا

سمعتها بعد قليل تقول: امر غريب حقا ولكن تقاطيع وجهك تبدو لي غير متناسقة .

ضحكت قائلة — تبين لي ذلك صدفة انا الاخرى . اعتقد ان من اخواتي الاربعة انا اقلهن جمالا ولكن والدتي اوحت الينا جميعا باننا فعلا جميلات .. ونجحت الحيلة على ما يبدو .

وبعد نصف ساعة سمعتها تقول وهي ترمق اللوحة :

— ولكنك فعلا جميلة . انظري .

ونظرت الى الورقة البيضاء المركزة على المسند الخشبي فرأيت انها قد رسمتني جالسة على المقعد المرتفع وقد ادرت ظهري .

قلت لها : انها لوحة موفقة فعلا . ثم اضفت : ستهدينها الي اليس كذلك .

فقالت : بل احتفظ بها عندي .

اما الان وقد مضت سنوات على ذلك فلم اعد اعلم ما الذي صنعته بتلك اللوحة .

لقد كانت مرسومة بقلم الفحم على ورق ابيض مقوى .

انها تحاول في هذه الليلة ان تتمثلني ولكنها لا تعلم عني الكثير . مرة التقينا بحفلة وكنت ارتدي

## سقوط ورقة خضراء

بقلم الانسة رينه عبودي

زيا اعجبها جدا . تنورة عريضة ذات جيوب واسعة عسلية اللون .

قالت وكأنها طفلة لا تصدق ما ترى : أين وجدت هذا اللون وهذا النسيج وهذا الشكل الجميل ؟

فضحكت قائلة : اوتشكين في ذوقي ؟ اني فنانة .

سمعت يوم الحادث احدى صديقاتي تردد :

— من حسن الحظ ان وجهها بقي سليما .

اما انا فقد صدمت حقا .. صدمهم النبأ ، اما انا فقد صدمت فعلا . اعتقد باني صرخت بقوة وانا افقد توازني واهوى . سمع صرختي الكثيرون قالوا انها صرخة مرعبة .

قصة

اشد ما يزعج الناس وينغص عليهم حياتهم ان يجدوا الموت يلامس من هم في سن العنفوان .

سن غير ملائمة . هذا لان البشر يهوون الانظمة . لكل شيء نظام عندهم . كل ما يتجاوز النظام او يطيح به يقلقهم الى ابعد حد .

سمعت احدهم يقول — اذا رايت ورقة صفراء جافة تسقط من على الشجرة افهم الموت اما في الحالات الاخرى ، كأن تكون الورقة خضراء نضرة ، فهذا ما لا يمكنني تعليله ابدا .

على ان اكثر الاصحاب ومعارفي حاولوا اهمال التعليل وان ينسوا باسرع ما يمكن امري . ان نظرتهم البليدة الخاملة جعلت مني، وقد وزع فوقي التراب ، قطعة من الثرى .

ان موتي اصبح تاما . هم لا يحاولون تمثلي اطلاقا . يهربون من ذلك. الخوف يترصدهم دائما وخاصة اثناء استسلامهم للنوم . تسحرهم الشهوة في النهار ، نحل يمتص رحيقا ، حياتهم محددة بامتصاصهم رحيق الشهوات . ولكن اليس في كل شهوات العالم طعم تراب ؟

اطفأ للتو تلميذ نور غرفته وقد اغلق كتاب الفحص . واضاءت امراة صحت على بكاء طفلها . وغنى رجل سكران في الشارع . الساعة تزحف الى الثالثة . الوقت ايضا منظم عندهم .

انني ابتعد مع الليل .

عشت ساعات . ساعات بواسطتها. لم اكن كاملة . كنت لوحة ، لوحة تجهل ابعادي كلها . لوحة قد تعود للحياة من جديد وايضا على شكل لوحة . غير اني ابتعد مع الليل الى حيث لا تعلم .

ها هو الرجل صاحب المخبز يفتح أبواب الفرن ويدخل معه فتى قوي الساعدين ليعجن الدقيق لاحياء الغد. ها هو حارس الليل يصفر لزميله قبل ان يمضي الى البيت فينام في الوقت الذي توضع فيه الاف اباريق القهوة على النار .

# الهوى الزائف

حدثوها عن الهوى   كذب القول والهوى
لم يكن قولهم سوى   فرية ، لم يكن سوى
صدقتهم واعرضت   ثم غابت مع النوى
الهوى الطاهر الذي   شرب النور فارتوى
كان تمثال عفة   شف سمتا ومحتوى
خر ، لما تنكرت   يا هواها الذي هوى
حينما غرروا بها   أعتم الدرب والتوى
فمضت في ضياعها   في كهوف بلا كوى
والغريب الذي مضى   في دروب من الجوى
حاضنا قلبه الذي   بلظى طيشها اكتوى
لم يزل بعد هائما   ظامىء الروح ما ارتوى

* * *

حدثوها عن الهوى   ويح هذا الذي غوى
انه الوهم ما حكى   انه الكذب ما روى
ليس حبا ، وانما   صرخة الذئب اذ عوى
الهوى الحق نبضة   تسكر القلب لو حوى
الهوى الحق همسة   في صلاة لمن نوى
وابتهاج وفرحة   ونعيم لدى الثوا
واشتياق ولهفة   وجحيم لدى النوى
كم حبانا بنوره   وبنيرانه كوى
انه الجرح والشفا   انه الداء والدوا
انه ذاك ، لا كما   حدثوها عن الهوى
يوم ان غرروا بها   ونبا الدرب والتوى
فمضت في ضياعها   في كهوف بلا كوى
والغريب الذي سمى   في دروب من الجوى
حاضنا قلبه الذي   بلظى طيشها اكتوى
لم ينزل بعد هائما   ظامىء الروح ما ارتوى

مصر الجديدة   عبد المنعم عواد يوسف



سيعمر الشارع بعد قليل ببائع الحليب، بالطالبات ، والطلاب ، بصفار التلاميذ . سيمر الرجال عمالا وموظفين ستلحق بهم عجائز العالم الى بيوت الله .

سيتفرغ رغم النعاس كل امرىء الى عمله اليومي . هذه هي الحياة . الحياة كما يعرفونها . الليل والنهار ، الحب والحرمان ، الغنى والفقر ، النجاح والفشل ، المرض والصحة ، الخصوبة والعقم ، الشتاء والصيف ، وهناك اشياء مماثلة اخرى .

العالم هذه الاضحوكة الحلوة السخيفة . .

ولكني صرخت من الهول حين تحققت بلحظة جنونية ، لحظة سبقت موتي ، باني فعلا اهوى والى غير رجعة . انتهى المساء منذ وقت بعيد . في سماء مشرقة شبه زرقاء تخيلني اسبح في الفضاء خفيفة رشيقة .

ولكن أين انا ؟

انها تبحث بلا جدوى عني . تتخيلني احيانا بعض الدخان . ما اعذب ان يسبح المرء في الفضاء . .

لا يخشى ان يفقد توازنه فزعا بعجزه، عجزه عن تقبل الموت وكأنه امر طبيعي .

انتهى المساء منذ وقت بعيد . آلاف اباريق القهوة توضع على النار . سينصرف كل فرد الى حركاته اليومية بعد قليل .

وقد يسأل بعضهم لبعض الوقت : اين هي ؟ اين انا ؟

وقد يبكي بعضهم ولبعض الوقت قائلين : انها ماتت . انها ماتت .

حلب   رينه عبودي



محمود محمد سليمان

# الخيال في مذهب مدرسة الديوان

بقلم محمود محمد سليمان

لقد وضح من مقالنا السابق ان الخيال في فن الشاعر المجيد اصباغ موزونة مقدرة ، تعني فكرة وتترجم عن احساس ومشاعر ، وليس تهويما او غموضا ، والشاعر حر في صفته الخيالية بالقدر الذي لا يحلق بنا في اجواء غائمة، ذلك اننا نقدر فن الشاعر على اساس انه انسان ملهم ، يكشف بالهامه ولقانته ما في الحياة من ينابيع الخير والجمال ، ونحن تواقون بدافع من غرائزنا الى استطلاع المكنون من اسرار الوجود ، وحقائق الحياة ونحن نلقي الزمام الى الشعراء ليكونوا امناء على رسالة الفن ، فلا يصطنعوا خيالا يوهمون به الناس انه صورة لحقيقة في دنياهم ، انما يتخيلون ما يحسون لنجد في اصداء خيالهم احساسنا فنسعد بفنهم ونستمتع .

ومن حق الشاعر ان يؤلف اشتات الخيال ويبتكر من اقواف السحر فيه على شريطة ان يصلنا عن طريق هذا الخيال بالحقائق التي نحسها ، ولا يقول قائل : ان الحقائق التي نراها ونحسها ليست في حاجة الى خيال الشاعر ، اذ هي في صراحتها ووضوحها كفيلة ان نستلهم منها ما نشاء . ذلك اننا لا نستطيع ان نستشر من حقائق الحياة ما يغرف الشاعر من اسرارها ، فعينه اللاقطة ، وحسه المتيقظ وخياله الدقيق اقدر على وصل نفوسنا بحقائق الحياة . يقول المازني في حصاد الهشيم : « ان الحقائق معروضة على اذهاننا وقلوبنا غير ان كونها كذلك ليس يستلزم ان نكون قد انتفعنا بشهودنا اياها ، ووعيناها وأحطنا بها واكثرنا لا يفكر فيها ، ولا يلتفت اليها ، وقل من بيننا من يحضر الى ذهنه صورة شيء مما يحيا بيننا من المشاهد والمناظر (١) » .

ومن ثم كانت مهمة الشاعر ان يقودنا بخياله الى مشاهد الحياة وحقائقها ، لنشاركه الرؤية والمتعة ، وطريقه الى تحقيق احلامنا الا يسبح بين الضباب ويلقي الينا كلاما شاردا مما تمليه الاوهام المعربدة ، والاوهام المعربدة هي الاحالات الكاذبة التي تشتبط في مسابح الخرافة بعيدا عن الحقيقة التي تلتمس التوضيح والتفسير ، « وان خيال الشاعر يحلق في سماء الشعر بجناحين من الحقيقة ، وليس من فضل في ان تأتي بمعان او صور كالزئبق لا تتمكن اليد منه ، ولكن المزية كل المزية ان تسوق ما لا يضيره، بل يزيده شرفا وصحة ان تواجهه بالحقائق (٢) » .

وليس الخيال ما يقف عند حد التشبيه او الاستعارة مما درج الناس على اعتباره صورة الخيال فالخيال فيءنظر مدرسة الديوان اوسع من ذلك مجالا ، فقد يكون عرض الحقيقة الشعورية ، ووصفها بدقةمن اسمى الوان التخيل، ومثل ذلك في التخيل البارع وصف حركة النفس وتحليل العاطفة الانسانية ومن ذلك ما وصف مويلك حال ابنته بعد موت زوجته وآلام نفسه :

**فلقد تركت صفيرة مرحومة ... لم تدر ما جزع عليك فتجزع**
**ففدت شمائل من لزامك حلوة ... فتبيت تسهر اهلها وتفجع**
**واذا سمعت انينها في ليلها ... طفقت عليك شئون عيني تدمع**

والشاعر يصف الحقيقة بتعبير بسيط ، ولكنه احال الحقيقة شعورا مؤثرا لانه مسها بسحر التعبير من عدة مواضع : الام الفقيدة تركت صغيرة في حاجة الى رعاية وحنان ، والطفلة البريئة لا تفهم الجزع وهي اولى الناس به ! وكيف تبيت طفلة لا ام لها ؟ وماذا يفعل الوالد المكروب اذا سمع ابنته تئن من الوحدة وبرد المضجع ؟!

انه لا يملك غير البكاء على حليله فقدت فيها ابنتها الصغيرة وزوجها المرزا شمائل حلوة ! يقول عبد الرحمن شكري معلقا على هذه الابيات : « ان الشاعر لم يعلمك شيئا جديدا لم تكن تعرفه ، ولم يبهر خيالك بالتشبيهات الفاسدة ، والمغالطات المعنوية ، ولكنه ذكر حقيقة ، ومهارته في تخيل هذه الحالة ووصفها بدقة وهذا أجل التخيل(٣)»

وقال النابغة الذبياني في حصن بن بدر (٤) :

**يقولون : حصن ! ثم تأبى نفوسهم ... وكيف بحصن والجبال جنوح**
**ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل ... نجوم السماء والاديم صحيح**
**فعما قليل ثم جاء نعيه ... فظل ندى الحي وهو ينوح**

والشاعر يشرح حركة النفس في براعة معجزة ، يقصر دونها كل بيان ، تهامس الناس بموت حصن ، ولكنهم لا يجرءون على النطق بهذه الكلمة استعظاما واكبارا للفقيد ، فان موت حصن ليس شيئا سهلا في النفس ، وليس خبر موته مما يمر على الآذان ككل الاخبار ، والنفس الانسانية

حين تتلقى هذه الانباء المزعجة تدفعها بعلالات الامل ، والتعلق بالاوهام ، فالنابغة المروع لتلقي الخبر لا يصدق ان يموت حصن ، فهذه الجبال راسية ، والموتى قارون في قبورهم ، ونجوم السماء سائرة في ابراجها ، واديم السماء لم ينفطر ولم يتشقق ! واذا فحصن حي ! علالة من وهم النفس كاذبة تعلق بها الشاعر ، والوهم كسراب الصحراء خادع ، لا يلبث ان يتجلى عن فراغ وخلاء ، وهكذا بدد اوهام الامل في حياة العزيز صوت النعي الذي صدع بالحق ، فاذا مفتدي القوم يجهش بالبكاء والعويل ! وهكذا أبان الشاعر عن حركة النفس المستمرة الدقيقة ابانة واضحة ، التهامس بالخبر الشديد المزعج ، واباء النفس ان تتناوله بالنطق الصريح ، والتعلق بالامل الكاذب ، والحقيقة المرة التي بددت زخارف الامل .

ومثل هذا البيان الشعري الرائع يعتبره جماعة الديوان من اسمى درجات التخيل اذ ان الخيال عندهم ليس مقصورا على التشبيه ، والشاعر الكبير ليس هو الذي يكثر من التشبيهات ولو كان وراءها المعنى المتضائل ، بل ان الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة وشرح عواطف النفس وحالاتها والفكر وتقلباته (٥) .

ويشبه قول النابغة في شرح احوال النفس قول ابن الدمينة :

**بنفسي واهلي من اذا عرضوا له ... ببعض الاذى لم يدر كيف يبين**
**ولم يعتذر عذر البريء ولم تزل ... به سكتة حتى يقال مريب ...**

وتخيل فتاة يلومها اهلها على محب وامق اصغى لها القلب والعاطفة ما ذنبها ؟ وهي زهرة فاح عطرها فجذب اليها الناس ، انها في براءة الزهر ، ولكن الحياء يعقد لسانها فلا تفصح عن براءتها بل تسكت عن استحياء فتدعو الى الريبة في امرها ، وما بها من ريبة .

والحق ان هذه النظرة الى الخيال مقبولة ، وفيها دلالة على سعة الافق الشعري ، وهي بعد انسب لروح الفن الصادق ، وهي تمثل بحق مذهب التجديد في الشعر المعاصر ، فشعر هذه المدرسة يعمد الى بسط الافكار ، وتحليلها والتأمل في الاشياء تأملا نافذا بصيرا .

وصف المازني شعر شكري في مجالا المقارنة بينه وبين حافظ فقال عن شكري :

« ان طرفه يصعد الى ارفع آمال البشرية ، ويصوبه الى اعماق قلبها ، وهو لا يبالغ في تدبيج شعره وتحبيره فحسبه ان يسمعك صوت تدفق الدماء من جراح الفؤاد ، والشاعر الخالق من لا تغريه الصور عن جمال الفكرة ، وتامل تيار النفس ، واذا صور كانت صوره مفتاحا الى اسرار النفس » .

واصعب ما في بيان الشاعر ان يلج الى مداخل النفس واغوارها فيكشفها للناس ، ويظهرهم على مطاويها الدقيقة وهمساتها الخفية ، واذا لم يكن الشاعر الذي يقوم بهذه المهمة واسع الخيال نافذ البصيرة فليت شعري هل تكون سعة الخيال ونفاذ البصر في تصيد الصور التي يسهل على اكثر الشعراء ان يربطوا بينها وبين الفكرة باوهى الصلات؟!

وظيفة الشعر ان يكون معوانا على وصلنا بالحقائق حتى نحس بها ، ونستكشف منها ما لا تصل اليه ابصارنا ، فاذا قرب الشعر الينا منابع النفس ، فوقفنا منها على همسات السر كانت براعته في ذلك قوة ، وحسبت هذه البراعة لقوة المخيلة التي تستشف بالوهم ما يموج في اعماق النفس من تيارات الشعور .

فحقائق الحياة في تعبير الشعراء اذا صدق البيان عنها تلصق بالنفس في غنى عن تهاويل الزخارف والصور ، والصدق في التعبير عنها ادل على عمق الخيال واتساعه ، من اجل ذلك كان طبيعيا ان يعترض المازني على تخيل القشيري في هذا البيت :

**بكت عيني اليسرى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا**

يقول : ان هذا الخيال تستنكره الحقائق المسلمة ، فالانسان لا يبكي بعين واحدة والبكاء بالعينين لا يكون ادل على البكاء بعين واحدة بفرص امكانه (٦) .

وليس موضع جدل ان الخيال اذا انكرته الحقائق المسلمة كان تزويرا ، وانحرافا بالفن الادبي عن سوائه ولكن موضع الجدل في تعقيب المازني على بيت القشيري ، لان الشاعر العاشق ـ فيما يبدو ـ لم يختلف مع الحقائق المسلمة ونحن نذكر ان العين العوراء لا تدمع ، وشاعرنا القشيري كان يبكي بعينه اليسرى هواه فلما نهنها عن البكاء خشية الافتضاح امعنت في التحدي وزادت تسكابا وانحدارا حتى اسعدتها عينه اليمنى وهي شحيحة بالدمع بل ليست فطنة الدمع ، ويذكرنا موقف القشيري والصدق في حديثه واضح بموقف السيد الحميري الذي انتحى بدموعه عن اصدقائه لالمام الخواطر بنفسه ، وهو اضعف من ان يذجر دموعه حين يقول :

**ما جرت خطرة على القلب مني ... فيك الا استترت عن اصحابي**
**من دموع تجري فان كنت وحدي ... خاليا اسعدت دموعي انتحابي**

والحق ان عرض الحقائق المسلمة في الشعر من صور الخيال بشرط ان تعرض عرضا شعوريا مؤثرا وشرح التيارات النفسية وليد الخيال النافذ الخصب ، والخواطر النفسية التي يهمس بها الشعراء نتاج الخيال القوي المبتكر .

فليس التشبيه وما يتولد منه من صور الاستعارات قصرا على معنى الخيال ، فالخيال في نظر مدرسة الديوان اوسع مفهوما من نظرة القدماء اليه .

الخيال عندهم حقائق الحياة الموصولة بالنفس ، او

---

**(١) حصاد الهشيم ص ١١٤. (٢) حصاد الهشيم ص ٢١٤. (٣) مقدمة ديوانه الخامس ص ٣٦٤ . (٤) العمدة لابن رشيق ج ٢ ص ١١٧ . (٥) شكري مقدمة الديوان الخامس . (٦) حصاد الهشيم .**

# وداع

ودعيني .. ربما كان الوداع
ربما كان كرعشات الشراع
ودعيني بالدموع الغاليات
ربما لم يبق الا الذكريات
حينما امضي فيطويني الفناء
ثم ينسى الناس حتى الشعراء
غير قلب ليس ينسى ابدا
لم يضع في حبه عمري سدى
ودعيني بابتسامات الحنان
ربما القاك في هذا المكان
ودعيني بيد تهمس لي
حسرتي بعدك تطوي اجلي
وامنحيني منك احنى نظرة
نظرة تشعرني في رقة
ودعيني .. ودعيني بالعناق
كلهم يعرف احزان الفراق
وارفعي منديلك الحاني النبيل
انه يخفق لي عند الرحيل
ودعيني..آه .. ما اقسى المدى
غير ان القلب مهما ابتعدا
انني ارنو بعيني فارى
المح الدمع بعينيها جرى
آه من دمع جرى في مقلتيك
كفكفيه .. انني أخشى عليك
انا نمضي معا منذ سنين
انا وحدي ذقت غدر الاقربين
لا تظني حين تجري أدمعي
كيف ابكي بينما انت معي
انا لو سرت على الشوك وحيدا
كان حبي منك كي احيا سعيدا
نظرة تنبت لي زهر الحنان
لمسة تهمس : انا توءمان

**القاهرة**

اخر الومضات في مصباح عمري
حينما يهوي الى لجة بحر
وانظري كيف تناجيك دموعي
حينما امضي الى غير رجوع
ثم آهات ودمع وانين
شعري الباكي على عمري الحزين
أي حب كان حبي ووفائي
لو قضيت الدهر أصفيه ولائي
علني اقوى على مر الفراق
بعد عام من حنين واشتياق
ابق ، لا ترحل ، فاني مشفقه
حيرتي بعدك نار محرقه
نظرة الح فيها نور حبك
انني ، حتى على البعد ، بقربك
لا تخافي همسات الناظرين
كلهم يذكر نيران الحنين
حينما أخطو على ارض البعاد
خفقات القلب في ليل السهاد
بيننا ، والسحب من تحتي وطاء
لا يرى الا خيال الاوفياء
صورة اجمل من سحر الربيع
وانا انظر من خلف دموعي
فأثار الدمع في عيني وقلبي
قسوة الدمع على عين المحب
في طريق نحن فيها غرباء
وتحملت عذاب الابرياء
انني ابكي على ما ضاع مني
مسرح الشوق، وآفاق التمني؟
ورماني العمر في ليل الحيارى
بسمة تشرق في ليلي نهارا
فارى في نوره زهر الامل
في ضمير الحب من فجر الازل

**ابراهيم محمد نجا**

---

والنفس المتأملة في الحياة ، الحافلة بالخواطر والمشاعر ، يعطي ظلال النفس لا ابعاد الحس .

والخيال ما يخدم الحقيقة ويفسرها ، ويشعر الناس بها ، لا يتكلف ولا يزور ، الخيال في نظرهم اسلوب النفس الصادقة التي تبن عما تجد ، واسلوب الشعور الحي والنفس المتأملة في الحياة ، الحافلة بالخواطر والمشاعر ، وليس اسلوب الذهن الذي يقيس الابعاد في التعبير كما يقيس الرياضي ابعاد الرسم الهندسي .

ليس مغالطة منطقية ، او جموحا عابثا او وهما مجنونا بل هو مرآة النفس والحياة .

**الفيوم** **محمود محمد سليمان**



نظير زيتون

# نجوى وذكريات

الى شفيق معلوف

بقلم نظير زيتون

حبذا الكتاب ونجواه ، والحرف وشذاه ، والقلم في مجراه ومداه ونهاه ، والبحر ودره الزهراه ، والولاء متجليا في سناه ، والخلق المعطار صداحة موسيقاه ، خصبا مجناه ، هطالا جداه

واهلا بكتاب الشفيق ، العبق الرقيق ، البليغ الرشيق ، يطل كالفجر الفتيق ، بوجهه المتبلل الطليق ، وديباجه الموشى الانيق ، وادبه الاصيل العريق ، وما اوفاه من صديق ، وما احبه من رفيق بل اخ شقيق . ولقد سرني وائلج صدري ما تبلج في سطورك من آيات الود والوفاء ، ينضح بها قلب معطاء ، وكأنها ديمة هطلاء ، اصابت صدرا يشتاق الظل والماء ، ويحن الى النجعة الخضراء ، وينشد الكلمة الزهراء ، ويرصد النجم واللألاء ، ويتصبى الصهباء ، والغناء ، والحب الرواء ، ويسلك كل درب الى النقاء والصفاء والضياء .

وما اكثر ما اثاره كتابك العبهري في خاطري من ذكريات وذكريات ، وكم اضرم في ضلوعي من حنين حنان رؤوم الى تلك السنوات المشرقات ، على ما شابها من كبوات ونبوات ، بين رفاق تآلفت قلوبهم وتجندت ارواحهم للمروءات والمكرمات ، والذود عن ام اللغات ، في دنيا غريبة اللغات والعادات ، فكانوا احنى ضلوعاً على الحرف العربي من المرضعات ، واوفى بالضاد من شيوخها السادات واكلف بالفصحى من صوفي بالعبادات . واغضب للغة القرآن من مضري في حومة المساجلات ، وعكاظ المفاخرات .

ويا درهم كم اشرعوا لها من رايات ، وكم اطلقوا من هتافات ، وكم شيدوا من قصور مشمخرات حامت حولها ارواحهم هائمات مستلهمات ، وكأن الفصحى سيدة الالهات المعبودات . ويا بارك الله لهم ، كم طرزوا من معلقات وكم صاغوا من مذهبات ، وكم رصعوا من رسائل وآيات ، واخذوا نفوسهم بنفائس المؤلفات والترجمات ، والقصص والروايات ، وكم ساروا بالفكر العربي في مواكب الحضارات والفتوحات ، مجاهدين صوفيين بعزائم ماضيات ، لا تثنيهم مثبطات ، ولا تصدهم عقبات ، وايد جاهدات . . .

وما كان اكرمهم رفاقا نظمتهم عقود سامية المطالب والغايات ، في ظلال العربية الام زينة الامهات .

اي قدر جاء بهم من سوريه ولبنان ، مدنا وقرى ، والقاهم في هذا المهجر الاميركي السحيق ، واي يد اختارتهم وجمعتهم ونظمتهم في عقد فريد متوهج البريق ، واي وحي هبط عليهم فاطلق اذهانهم وقلوبهم وايديهم تمجيدا للسان العربي العريق العتيق . واي ملك نوراني كريم فجر مواهبهم وعبقرياتهم ، فكان للفصحى في عصر الظلمات ذلك الفجر الفتيق ؟

هذا سؤال جوابه في فم القدر العربي ، والوحي العربي والملك النوراني العربي ، وليبحث النقاد وينقبوا ما شاء لهم البحث والدرس والتنقيب فلن يلقوا الجواب الا حيث قلنا ، وما سوى هؤلاء فمزاعم لا طائل وراءها . . .

واعود الى ذكرياتنا المعذوذبات ، فما كان احلاها من ندوات ومسامرات ، وامسيات زاهرات . ومجالس انس عامرات ، ومجاني ادب ممرعات ، في محاضرات ومقابسات ، ودراسات ومطالعات ، وكم لنا من وقفة على منابر الاشراق والاشواق والمكاشفات ، وكم زركشنا صحائف ملهمات ، هن الفكر وثبات وانتفاضات ، وللروح نسمات معتدلات متألقات . وللقلب نفحات موشوشات هامسات ، وللخاطر آفاق وواحات . وللعين منتجعات ممرحبات . وللعربية حلى موسوسات . . . لا شك انك تذكر قصرك يا شفيق ، افتذكر تلك الخيام التي طالما نصبناها للادب فجراً ، وللشعر سحرا ، وللنثر خمراً ، وللروض هزارا وزهرا . اكنا ائتلد دما في شرايين العمران ووقودا في معركة الحياة والبقاء . ام كنا سمارا حالين في فسطاط امير من امراء الصحراء ، وللمهباج رقصة وحداء ، وللقهوة طلعة وبهاء . وللروح نشوة عذراء . وحلم وضياء ، وصلاة ودعاء . وللخيال فراقد وسماء ، واجنحة تشق مجاهل الفضاء . .

ما اكثر ما نصبنا من الخيام في قصرك ، وما اكثر ما عاطيتنا من خمرك وبشرك ، ونثرت لنا من درك وبحرك ، ويا لدارتي ابرهيم بسيط الشاعر والموسيقي ، ويوسف اليازجي الوطني والوجيه . كم عقدنا فيهما من مجالس حافلات ، وقضينا ليالي مكوكبات ، وكم بسطنا للادب

والطرب والعرب من سرادقات . وكم ارتعشت للعود اوتار شجيات . وكم كانت للقومية الام صولات وجولات . وكم كان للنفس دعابات ومجازات وكنايات . وللحناجر نبرات ورخامة ابتهالات ، وزفرات اشواق وآهـــات ، وللاذان دغدغات واهتزازات ، وللعيون مسابح ومفاتن وصبوات . وللقلب وميض خطرات وخفقات ومجنى ذكريات ..

ولله يوم قضيناه في الميماس السانبولي بضيافة فؤاد وتوفيق بندقي ، تكريما لوفد فلسطين العربي المؤلف من اكرم زعيتر الفلسطيني ، وتوفيق اليازجي السوري رحمه الله ، ونصري معلوف اللبناني . جمعتنا فلسطين العربية في حدائق الميماس ، على ضفاف بحيراته ، وفي افيـــاء خمائله واشجاره التي بسطت اغصانها مرحبــة في نضرة الغيد الاماليد ، وما احيلاها متعة وللبلابل اغاريد ، وللحناجر اناشيد ، وللاوتار فرحة عيد . وللكؤوس انفـاس عشاق معاميد ، وفي الصدور دندنة زغاريد ، وللنسيم الفـواح بوح وترديد .

كان عدد الضيفان ينيف على مائة وخمسين من ادبـــاء وشعراء وحملة اقلام ووجهاء ، يتقدمهم حبران جليلان هما المطران اغناطيوس حريكه المشهور بمواقفه الوطنية ، والمطران نيفون سابا شاعر الالوان البديعية . وحاشيتهما الاكليريكية ، والقنصلان السوريان سامي الخوري وفريد اللحام واللبنانيان هكتور خلاط ومحمد فتح الله ، اجتمعوا كلهم في الميماس ، في ظلال العلم الفلسطيني العربي ، ذلك اليوم ، كان يوم فلسطين المستطاب ( ١٩٤٧ ) ولقد كانت آمالنا مضمخة بالاطياب ، تلبس للنصر ابهى جلباب . نعم كنا مؤمنين ايمانا راسخا بالفوز في ساحة الغلاب ، وكيف لا نتحمس ويأخذنا الزهو ونشرب الاكواب تلو الاكـــواب انخابا في انخاب ، ونصفق طربا للقصيدة اثر القصيـــدة وللخطاب تلو الخطاب . نعم كيف لا نتحمس ونطرب وقد اقتربت ساعة الحساب ، ويا لها من ساعة تشق الحجاب وتخلب الالباب ، اكان يدور في حدس احدنا ما طبخه لنا القدر من حنظل وصاب ؟ اكان يقع في خلدنا اننا كنا نمضغ السراب ونحسبه صفوة اللباب ؟ لا ورب الارباب ، لقـــد كانت ثقتنا بقادتنا قوية وطيدة لا يرقى اليها ظن وارتياب ، ولكن ابى الدهر الا ان يأتي بالعجب العجـاب ، وكـــانت نكبة فلسطين منا وفينا اويا لهول المصاب .. ولكننا مــع هذا الواقع الاليم لم نستسلم ، غير ان التبرعات الماليـــة الطائلة التي جمعناها وقتئذ نارا وحديـــدا في صدور المعتدين المجرمين ، آلت ويا للاسف ، بل يـا للعـار الـى مناديل نمسح بها دموع الالاف من اخواننا المشردين ، بين ثواكل وايتام واطفال بائسين وشيوخ عاجزين . واحر قلبي على فلسطين ، تفتك بها نصال قابين ، وتعبث بقدسيتها ايدي الصهاينين ، فيذبل الورد والنرجس والياسمين ، وتذرف النجوم دمعها السخين

ذكريات تلوح في خاطري واحرص عليها فأسقيها من دموعي ، واحنو عليها بضلوعي ، واحرق لها شموعي واصلي عليها في يقظتي وهجوعي ، وانذر لها حبات من قلبي وخفقات من ولوعي ، كم تقلدتها سيفا ولبستها درعا من دروعي ، وما اكثر ما اطلقتها سفائني وقلوعي ، دنيا عوامة جوابة فتانة تملك علي جلال ربوعي ، وابتهالي وخشوعي ، لها الله تلك الذكريات ، فمنها زاد روحي ، واليها جوعي .

اكتب هذا الفيض من فيض ذكرياتي ، فيهتز القلم طربا ، وتخفق عجبا دواتي ، وكأن في سردها تجديدا لحياتي ، وفي بعثها بعثا لصبواتي ، وتسعيرا لضرام اشواقي وصباباتي ، وطلا يطفيء من لظى آهاتي ، وطلة تحوم حولها متهللـــة وآهاتي ، فاذا القلب ترفرف عليه بسماتي ، واذا العـــين تجلوها عبراتي .

ولنمضين في النجـوى ، وقـل معي رحم الله خالك ميشال معلوف اول رئيس لعصبتنا الاندلسية وموطـد دعائمها بايمانه واحسانه ، رحمه الله وافاض عليـه مـن شآبيب رعايته ورضوانه ، كم مجلس لنا في ايوانه ، وكم منهل من دنانه ، وكم نشوة من ادبه وبيانــــه ، وسراوة مخبره وعيانه . وصفاء نفسه وانطلاق جنانه ، ومزايـــا كصنين رفعة ، في مناعة لبنانه ، يا له مثلا رائعا في غيرته على غسانه ، واعتزازه بعدنانه وقحطانه ، واكرم به رائدا من رواد الادب المهجري وفارسا في طليعة فرسانه ، وما سمعنا ( الخريف في فرسايل ) الا تخيلنا عرائس الشعـر طوع جنانه ، ونشيج الخريف المصوح العريـان صـدى شجونه واحزانه ، يا للقلب الكليم كيف يعطف على الخريف الكليم في نجوى وجدانه ، ويخلع عليه من ارجوانه ، ويعقد له من تيجانه ، فاذا الخريف يخطف الابصار بلمعانه ورعشة اجفانه ، ودفء حنانه .



ما ضمنا مجلسه يوما الا تمثلنا تدفـق البحر وروعـة شطآنه ، ونفاسة دره ومرجانه ، وبشاشة الروض وعبـير ريحانه ، وعندلة القمري على اغصانه ، وكأنه كاهن الادب في هيكله بين بخوره وزيته وقربانه . في محياه طالعتنا بسمات الأخ لاخوانه ، وفي كفه قرأنا آيات فضله وتهتانه ، وعلى شغاف قلبه تفتحت ازاهير الحب فواحة بعرفانه ، فسلام على روحك السمح يا ميشال في اناشيده والحانه ، ومعاريجه وجنانه . ستعيش ذكراك في ضمائرنا ما اشرق الربيع في نيسانه ، وداعب نسيمه خدود زنابقه واقحوانه ، وسيذكرك الأدب المهجري ما عاش الحرف العربي في ديوانه ، ولنذكر بالأعجاب والأطناب منابر النادى الحمصي وحفلاته ، وشعراءه وخطباءه ومن حلحلوا في حلباته ونثروا جواهر البيان في ردهاته ، فاذا علم الفصحى مزهو بهالاته ، وكأنه ملك بين جحافله وراياته ، وماذا تقول في مسارح النادي الزحلي وتمثيلياته ، وفنونه في تقديم رواياته ، من اندلسياته الى سمواليانه ، كأن للفن العربي المسرحي آية من آياته ، وللحرف المغرد الصداح دارة من داراته ، وكم صفقنا وانتشينا وقد اخذنا الابداع بومضاته وموجاته .

فسلام الله على روح مؤسسه اخيك فوزي وجاده بغيث من بركاته ، وتغمده بالرعاية كرمى اياديه وحسناته .

ولنعرج على شيخنا ابي الطيب المتنبي في ذكراه الالفية. ولنشنف آذاننا بسماع شعراء العصبة الاندلسية، في هذه الحفلة العكاظية التاريخية. ولقد اصغينا اليهم فرايناهم امراء ينشدون في حضرة المتنبي صاحب الجلالة الملكية. كما كان ابو الطيب ينثر درره في ديوان سيف الدولة الحمدانية، ويقهر خصومه وحساده بالابيات الفلية العصية ويؤجج في صدورهم نيرانا جهنمية. وما همه ان يتألبوا عليه ويجحدوا فضله. وقد لها بهم لهوة زرية، وعفرت شوارده لحى لهم سرية. وانوفا حمية..

انصتنا لشعراء العصبة فاخذتنا نشوة علوية وكأننا بهم يستلهمون القوافي فتنزل خمرا بابلية واقواسا قزحية. واخذا سحرية، فاي دنيا مسحورة كشفتها لبصائرنا تلك الرقى الذهبية؟

ولقلنا ان في اقلامهم من سحر العصا الموسوية، لولا انها دفقات عبقرية ووثبات ذهنية، واستنباطات بيانية، وانطلاقات شعرية، في صبابات غيبية. ولقلنا انها قبس من البدائع الاحمدية، لولا انها لا بيداء فيها ولا سيوف هندوانية، ولا خيل ولا ظباء ولا رماح سمهرية، بل كحل العيون البدوية، واغانيها الدافئة الغزلية، ووضاءة المباسم العبهرية، وحرارة الصدور الخفية، ولفتات القلوب السخية الوفية. في نبضات حضارية. وانفاس ندية عذرية، وخطرات يلمعية سبحانية.

ولم تكن ذكرى المتنبي في سان باولو حفلة ولا مهرجانا، بل رواقا باذخا رتلنا فيه صلاة وقدمنا قربانا، وقرانا انجيلا وقرآنا. وركعنا خشعا في محراب الفصحى شيوخا وشبانا. وبزغت العربية في صدورنا نورا وايمانا، وحبا واحسانا، وفصاحة وبيانا. وتجلى (الطائر المحكي) الهاما وفيضانا، ومهندا وسلطانا، وغيثا وتهتانا، وزارة وتحنانا، وملكا كبا به جواد الدهر وسقاه تسهيدا وحرمانا، ونبا سيفه وقد طالما ابلى وطاعن فرسانا، فما تقاعس بل تعاظم اباء وعنفوانا، وغنى العبقرية الوانا وافنانا والحانا. ومضى به الردى وقد خلف للفصحى تراثا خالدا يهز عصورا وازمانا، ويباذخ عروشا وبلدانا. واذا حنحن على المجد فامتطاه كان محسانا، فما اعتاد الا ان يركب العظمة العذراء حصانا رزانا..

ولله در شعراء سان بولو، اذ كانوا ترجمانا له ولسانا، وعزاء وسلوانا، ويا لفرحة المتنبي ذلك الذي يكاد يأبى لنفسه شمما ان تسكن اللحم والعظم، يا لفرحته اذ لقي بعد الف سنة، في بلاد غريبة قصية مجهولة اخدانا له واخوانا، قدروه حق قدره وصاغوا له من عقبان الشعر تيجانا، ومن القواف يالصداحة عرشا وصولجانا، وجاؤوا له بالملوك ندمانا، وشرحوا صدره بعد غصص وآلام تجرع كؤوسها ظلما وعدوانا، وجراح متلألئة كانت لعين البطولة انسانا، ولقد طال صبره على قلة الانصاف وثار غضبانا. ويا لقلة الانصاف كم زعزعت بنيانا، وما كان العقوق الا بالنعمة كفرانا، والا للنذالة عنوانا.

وفي سان باولو انفرج فم المتنبي والقى عن ظهره كربا واشجانا، فطابت نفسه وقرت عينه واطمأن قلبه وكأنه نسي ما عانى ... فشكرا لكم يا شعراء العصبة الاندلسية، شكرا لك يا شفيق ومرحى لرائعتك الدالية. ولرفاقك شعرائنا فرحات ونصر سمعان وجورج حسون والمرحوم عقل الجر، وهناك اخر غاب اسمه عن ذاكرتي.

في تلك الحقبة الميمونة التي مرت كخلسة المختلس يا شفيق، كانت تدور خمرة الادب بكؤوس مترعات وتسجع حمائم البلاغة مسترغدات مترفات، وترقص عرائس الشعر على رفارف النجوم الساهرات، تحف بها ارواح بالجمال هائمات، وقلوب الى الحب ظامئات. وشفاه الى النار القدسية جائعات. وعيون كانت تطوي بانوارها الاقاصي وتنطاد صعدا الى السموات. وهناك تلقي خاشعة ما حملته من قرابين وصلوات، وتسجد ثلاث سجدات ثم تتمسح بمفاتن الجنات، حيث فواكه المعرفة جنيات شهيات وينابيع الخير متبجسات متدفقات، حتى اذا شبعت وارتوت، آبت على جناح من سوابغ البركات، في زاد من لطائف التأملات لتزرع الجمال في الارض الموات، وتطعم النفوس الساغبات وتسقي الصدور بسحائب الحب الغاديات، ولقد زرعنا وزرعنا. واطعمنا واطعمنا، وسقينا وسقينا، وكانت لنا القرابين الزكيات، منذورات غير مأجورات..



اكنا آنئذ يا شفيق مجانين فتيان ضلالات ومغامرات، ام كنا ميامين متعبدين، اصحاب رسالات؟

لا ادري ولكني كنت موقنا اننا لم نكن ضيوفا على الحياة، نعيش على هامشها، وانما الحياة هي التي حلت علينا ضيفا بجيلا أثيلا، فمرحبناها وقدمنا لها ما يفرضه علينا شرف الضيافة من واجبات وحفاوات وتكرمات.

كما كنت موقنا ايضا، اننا لم نكن في مواكب الشعوب والحضارات ادعياء متطفلين نكرات، بل كنا اصلاء لنا الجذور العميقات، والصفات العريقات، ذلك باننا عرفنا انفسنا فاوتينا فيضا روحانيا دفاقا، اغرقنا في التأملات والانتفاضات، وغالينا في نذور الاضاحي والصدقات، واسرفنا في العطاء المتأرج اللمسات، الحنون النغمات، اللماح البسمات، الحفي الضيافات، وذلك ايضا باننا لم ندفن ما وهبنا الله من وزنات، بل صقلناها واعددناها امهات، تلد البنين والبنات، وتنمو وتتكاثر فاذا هي مئات، واذا هي نور في الظلمات، وظل وزاد وماء فرات.

ولقد اتيح لنا ان نعطي دون ان نفسد عطاءنا بالمن والتبجح والدعوى العريضة البرقشات، وكنا الكاسبين المفلحين، فلن يستوي في ميزان الكرامة رجل يبسط قلبه ويقول: خذ، واخر يمد يده ويمن ويقول: هات. واين من يستوفي اجره بدنانير معدودات، ممن يقدم قرابينه هبات وصدقات، ونذورا صامتات، وعفا الله عن سهام طائشات وخطى تائهات ووجوه مبرقعات. ذلك كان عصر العصبة الاندلسية ومجلتها الرفيعة الوضيئة الرزينة

الوزينة . بارك الله في حياتك وحياة رئيس تحريرهـــا حبيب مسعود ، انه ازهى عصور الحرف العربي فـي الاميركات . كان عصر مجلة الشرق عروس المجـلات . وخميلة الحمائم الساجعات والقوافي المفردات . حسب صاحبها فضلا ، مد الله في حياته ، انه ترجم من العربية ، الى البرتغالية تراثا عبقري الكلمات ، عبقري الصفحات .

انه عصر العشرين جريدة ومجلة عربية كانت تصدر في وقت واحد في سان باولو ، ومائة صحافي وكاتب وشاعر . كما كان ايضا عصر نعمة يافث ورشيد عطية وفتى لبنان والدكتور سعيد ابو جمره والدكتور خليل سعاده وسلوى سلامة اطلس ومجلتها الكرمة ، وجورج مسره ، ويـوسف ناصيف ضاهر ، وفوزي معلوف وميشال معلوف وجورج انطون كفوري وانيس الراسي وعقل الجر وحسني غراب ويوسف البعيني واسكندر كرباج وسعيد اليازجي وحبيب بشعلاني وداود شكور وسواهم ممن زرعوا الحرف العربي في البرازيل ، كل بما اوتي من موهبة وفضل ، وجهـد وبذل . ويا لهفي عليهم وقد فارقوا دنياهم صفر الاكـف الا من نضال وحراب ، فارقوهـا وفي الاصابـع جمـرة الاغتراب . وانقاض ذكريات ولهاب . وفي العين خيـال موطن الاحباب . والمدرسة والمعلم والكتاب ، وطيف الصبا التلعاب ، ومجالس الاصحاب وصور الجمال الخـلاب ، والثغور والاهداب ، الى صيف العرزال والرباب ، والدبكة والصبايا وهمس العيون في سؤال وجواب ، واللماظـات والسلافة والاكواب ، في احضان النهر المترقرق المطراب ، الى خريف التفاح والاعناب ، والتين والزيتون وثمار آب ، والجو الشاحب الوجه والاهاب . فيه من الصيف بقايـا انسام عذاب ، ومن الشتاء وشائج وأسباب . الى شتـاء الموقد اللهاب ، والثلج والمطر في تهطال وتسكاب ، والريح القر في اياب وذهاب ، الى ربيع الاحلام النرجسية المتأزرة بالسحاب ، والاشواق المتبرجة بالف لون مـن الخضاب . لها النضرة والزهر والورد جلباب ، والانفـاس اطيـاب ، والكوثر شراب .

هذه كلها تتراءى للعيون في وجد واكتئاب ، يـا حسرة الحنين تعوي في جنباته الذئاب ، وتنهشه اقسى النهش بالانياب ، وكأن ذلك المحتضر يقضم جلمود العذاب ، ويتوجع وفي القلب يأس ونداء غير مستجاب ، وفي الاذن تنعاب الخراب ، وها هو شبح الموت يطرق الابواب ، وهـا هـو ناقوسه يستعجل الرحيل والغياب .. له الله ، في المخيلة المضطربة دهمة وضباب ، وفي الكف المنقبضة حفنة مـن سراب . فيا لها من حشرجة مشدودة بالف عذاب ، ولكنها صلاة موصولة باجر من الباري وثواب ... الا فسح الله لارواحهم في جنانه وتغمدهم بالجميل من رضوانه . واثابهم بظل من احسانه ، ورعى البقية الصالحة عمادا لغسانه ، وذخرا لعدنانه وقحطانه . وبارك في حياتهم الغالية بلطفه وتحنانه ، لتظل مجلجلة في العالم الجديد لغـة قرآنـه .

وهنا اتساءل بمرارة : اين هي آثارهم الادبية وماذا نعمـل لبعثها ونشرها يا شفيق قبل أن يفوت الاوان وتنـدرس معالمها وتغيب كما غا باصحابها ، فنندم ولات ساعة مندم ، وينبري بعدئذ ابناؤنا وحفدتنا ، فيندون غضابا ويقولون : ويح آبائنا ما كان ازهدهم بكنوز الادب المهجري .

بعد هذا لا يسعنا الا ان نزجي تحيـة شكر واعجـاب واكبار الى اخينا الهمام المقدام الشاعر جورج صيدح الذي اصطنع يدا سخية بيضاء ، لا يعد لها شكر وثناء ، حينما زف الى المكتبة العربية مؤلفه العظيم ( ادبنـا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ) وقد اصبح اليوم مرجعا للطلاب والمعلمين على السواء في دراسة الادب المهجري ، وسندا في وضع الاطروحات المتعددة لنيل اعلى الشهادات من البكالوريـا الى الماجستر فالدكتوراه . ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا انه لولا كتاب جورج صيدح لفقد التاريـخ الادبي العـربي سلسلة ذهبية فريدة من سلاسله الحديثة الطريفة ، ولضاع تراث فكري نفيس تفخر به المكتبة العربية .

وجورج صيدح رعاه الله انفق مالا جزيلا وبذل جهـدا ثقيلا وصرف وقتا طويلا حتى تسنى له نشر كتابه الثمين مع هذا لم يمن ولا تبجح ، بل ابت عليه سراوة في مكرماته ، ونهاوة في آياته ، الا ان يزرع دون ان يحمـد ، والا ان يرفد ، ومع العطاء الا ان يشكر ويحمد .

ونحن اذا اثنينا على جورج صيدح ، فهذا لا يعني اننا نجحد فضل أولئك البحاثين الالمعيـين الـذين صنفـوا المؤلفات في الادب المهجري امثال البدوي الملثم ومحمـد قره علي ومحمد عبد الغني حسن ومحمد هداره وعيسى الناعوري ووديع ديب وسواهم ، فلهؤلاء الافاضل ايضـا شكرنا المتضوع بعبير الوفاء والثناء .

ويجب علينا ايضا ، ما دمنا في صدد الحديث عن الادب المهجري ، ان ننوه بفضل وزارات التربية والتعليم فـي سوريا ولبنان ومصر خاصة لعنايتها بالادب المهجري وتقرير درسه الى جانب الاداب العربية ، وكنا نود لو ان دراسة الادب المهجري شملت المنثور ايضا فهناك صفحات مشرقة لا تقل روعة عن المنظوم ، كما ان هذا النثر المهجري فتح للفكر آفاقا جديدة قلما عالجها الشعر .

اراني يا اخي شفيقا وقد امتد بي النفس وطاب ، انشيء فصلا من كتاب ، لا ردا على خطاب ، ولا جوابا عن تحية شاعر النجوم والسحاب ، والقوافي العراب ، ولكن مـا العمل يا اخي ، ولي في حنيني الى الماضي عجب عجاب . ولي في ودي لرفاقي عهد لا يشومه مذق او خضاب ، ولي في الذكريات عمر مبعوث يمضي بي الى شواطيء الشباب ، ولي في النجوى سماء مفتوحة الابواب ، مفتونة الرحاب ، تغشاها الروح مطوفة من محراب الى محراب ، بين صلاة وركعة واحتساب ، فاغيب مغبوطا في جو محبب من الخيال اللاهب الوثاب ، وما احلاه من غياب . ولكن الدهر كمـا عرفناه مستبد ارود ، له حالات تحمد واخرى لا تحمد ، ولعله في يوميه الابيض والاسود ، حكيم بصير لا يدرك سر حكمته فكرنا الارمد ، وعلينا ان نؤمن بالخير ونفسر قضاءه

السلبي خيرا وان كنا نجهل المقصد ، فالخير هو الاصل ، وهو المرجع وهو المسند اليه والمسند ، والحب هو المنتجع وهو المورد .

ذلك باني غادرت البرازيل وقد توثقت صلاتي بمئات ومئات من اصدقاء الفكر والمبدأ وبعشرات وعشرات من رفاق النضال الادبي . نضال الحرف العربي الذي ينشد الانطلاق والابداع ، ومثل هذا العدد من الاخوان الذين وصلت بيني وبينهم اواصر القربى الروحية ، ووشائج الصداقة الشخصية ، اقول ، يممت وجهي شطر الوطن ، وقد كسبت في البرازيل والارجنتين وتشيلي وسواها جيشا من الاصدقاء والرفاق والاخوان ، كنت اعده ثروتي الكبرى ، ولكن ما كادت تنطوي بضعة اعوام حتى شعرت بالجزر بعد المد ، ثم اخذت اتلفت عبر المتوسط والاطلسي، استنشي ريحهم ، واسأل عنهم واستقصي اخبارهم مدفوعا بالذكريات والشوق والحنين ، فلا افوز بما ينقع الغليل ، ولا تقع عيني على غير القليل القليل ، من ذلك الرعيل الحفيل .

اين هم ؟ وماذا اقول في امرهم وامري ؟ أأقول ان البعد مدعاة الى السلوان والنسيان ، مبعثة على تصرم الصلات بين الاخوان ، وعلى فتور العواطف بحكم الزمان والمكان ؟ أأقول ان من لا تقع عليه العينان وتصافحه اليدان ، ويقرع بصوته الاذان ، قلما يلهج به القلب واللسان ، لا عن نفور وهجران ، وانما هي طبيعة الامور في الانسان ، وقد قيل « من غاب عن العين غاب نصيبه » من مودة الخلان، فاذا الصداقة ضباب ودخان ، وسراب ظمآن ، واذا الود القديم انقاض بنيان ، عفته رياح الزمان ، وكأنه احلام خيال وسنان ، واذا الوفاء يتيم في صحراء الحرمان ، يرثي الذكريات الحلوة بدمعه الاسوان .

مع هذا لا اعتب ولا اتذمر و لااسترسل في الشكوى ، وانما هي نجوى ، لي فيها عزاء وسلوى ، ولكل امرىء ان يدفع الدعوى بالفتوى ، وحسبي أن يكون للحب في اضالعي أكرم مثوى ، وارحب مأوى وابلغ فحوى ، وانما الحب هو الابقى وهو الاقوى ، وللنفس ان تزرع ما تهوى ، وعند الحصاد تحمد الجدوى وتسقط الدعوى .

اين هم هؤلاء الاصدقاء الذين شاركوني في معارك الحرية والعربية ، والانطلاقات الوطنية والاجتماعية، والمثل العليا في اهدافها الانسانية ، اين هم هؤلاء الذين تلوت عليهم صلاتي ، وجبلت قربانهم بدم من شرايين حياتي ، وسقيتهم فراتا من دواتي ، وقلدتهم المرصعات من آياتي، فكانوا الربيع الريان في مرآتي ، وكانوا الشهد في فمي ولهاتي ، والسنان في قناتي ، والزيت في مشكاتي ؟

أين هم ، ولماذا اخذوا بقول القائل – من غاب غاب نصيبه – ولم يأخذوا بقول الاخر « اقصى رفيقيه له كالاقرب ؟ »

ولكن ، لا علي ، أليس لي في الحرف الوسيم المتفتح الريان ، شهبان وتيجان ، ورعية واعوان ، وسمار وندمان، وومضات تخلب الاذهان ، ورؤى تحسر الحجاب فاغيب في نشوة روح ووجدان ، واطرح دنيا الطين والبهتان ، دنيا الوجوه المستعارة في حرباء الالوان ؟

بيد اني استثني رهطا كريما وفيا ساقاني ودا صافيا نقيا كثلج لبنان ، والق البدر في نيسان ، واسبغ علي من باذخ الحب والوفاء ، ما يزري بالذهبان وما يعتز به صاحب صولجان ، فما اجدرهم بالثناء والشكران ، وما اجدرني بالفخر اذا باهرني القمران .

وبدهي بعد هذا ان اتحفى لرسالتك يا شفيق واتذوق بلاغتها سطرا بعد سطر ، وكأنها للعين رقبة سحر وخير، وللخاطر روض اربض ونهر . فخذ بهمس القلب في الشكر، متلألأ كالبدر ، منتظما كعقد الدر ، ساطعا كالعطر ، واذا تمنيت على الله من امر ، فلا اتمنى الثراء وفخفخة القصر، اطليه متأبها بالتبر ، واحشد فيه تحف العصر وروائع الدهر ، ولا النجوم الغواني الزهر ، يتهادين كبرا على كبر ، ويتأودن في الغلائل البيض والحمر ، وفي العيون براءة الحب والطهر ، فاقتحم عليهن الحجاب واساقيهن رحيق الشعر ، واخلبهن بدراري النثر ، واعانقهن صدرا الى صدر، والثمهن ثغرا على ثغر ، وطلا على جمر ، والعفة ملء النفس والفكر ، ولصهباء الهوى العذري رعشة سكر ، هذا كله لا اشتهيه ، ولا يملأ عيني وروحي على شهيات مجانية ، وانما اتمنى العودة الى البلد الازهر البكر ، حيث قضيت ازهى سنين العمر ، ألملم ذكرياتي الخضر، واحتسيها خمرا في خمر ، وانقع غليل الحنين بعد مر الصبر، وانعم بالدفء بعد القر ، وازرع القلب زهرا في زهر ، واروي الروح بسلسبيل كذوب الفجر ، فبعضي يشتاق بعضي وقد طالت الغيبة والهجر ، بلى وهناك ارعى وطني بعين النسر، وغضبة المضري الحر ، وادفع عنه حملات الشر والغدر بايمان اصلب من الصخر .

وكأننا هناك في المهجر ، نرى الله تعالى اعظم واكبر ، وأسمع واقدر ، واوسع رحمة واغفر ، وكأنه جل جلاله نقل كرسيه من موطن الرسل والانبياء الى البرازيل الخضراء ، حيث الغاية العذراء والديمة الهطلاء، والشمس والكواكب والارض والداماء ، تسبح بحمد رب السماء ، وترفع اليه الصلاة والدعاء ، صبحا ومساء .

والى اللقاء يا شفيق في رسالة اخرى وهاجة القنديل، فواحة البخور حنانة الترتيل ، او تحت سماء البرازيل ، حيث انجلى للروح افقها الجميل ، ووقع الفكر على الدرب الحفيل ، وحيث زرعنا السنين حروف اوهام واباطيل، او في ربوع لبنان الفتان الجميل . حيث الظل الظليل، والنور والسلسبيل ، والضاد والتنزيل ، أو في حمص ابن الوليد وديك الجن والزهراوي وسلوم وهاشم الاتاسي وعريضه والحداد والمغربي وسمعان وسواهم من اخ وصديق وعديل .

واسلم لعبقر شاعرا ، ولآي البيان ناثرا ، وللاخوان صدرا عامرا ، وللفضل بحرا زاخرا .

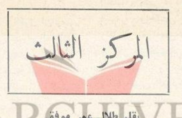
حمص

نظير زيتون




الليل يلفني بسواده القاتم والنجوم تحجبها عنا غيوم داكنة ، والرياح تهب قوية قادمة من سفح الجبل حاملة برودة الثلوج المتراكمة على قمته ، لم يكن المعطف العسكري الكثيف يحميني من شدة البرد ولا الشال الذي ادثر به وجهي لاقيه لفحات البرد القارس ادخلت يدي في جيب المعطف وانا اسير على الدرب الهادىء الساكن البعيد عن المدينة وضوضائها ولم تكن هنالك اضواء ساطعة سوى الضوء الذي ينير الشارع الذي لم يكن يكفي لتبديد عتمة الليل.

كانت هنالك ثلاث نقاط حراسة وكان واجبي ان امر عليها لاتفقدها واتأكد ان اعمال الحراسة تسير بصورة منتظمة ، مررت بالمركزين الاولين وانهيتهما ولم يبق امامي سوى المركز الثالث والاخير ثم تنتهي نوبتي لاعود الى مقري احتضن موقد النار وادفىء جسدي الذي كان يرتعش من البرد ولاح لي المركز الثالث وايضا وسط هذا الليل والسكون فلم اسمع اية حركة صادرة عنه ولم ار اثرا للحياة فيه مع انه كان معملا كبيرا تقوم على حراسته ثلة تتألف من ثلاثة حراس. تقدمت من باب المعمل الكبيرة شاهدت الحارس جالسا امامها وقد ركز مؤخرة بندقيته على الارض وامسك طرفها بيده واراح راسه على يديه المسكتين بطرف البندقية وذهب باغفاءة . ولاحظت انه وضع صفيحة طويلة من القصدير امامه وحدست انه يبغي من ذلك ان توقظه ضوضاؤها فيما اذا وطأتها قدم احد المارة فتجنبتها ومررت بقربها وفحصت الباب فلقيته مغلقا ، قررت ان اقوم بجولة حول المصنع اتفقده قبل ان اوقظ الحارس واحاسبه . اتجهت نحو سور المصنع اسير بحذر شديد وانا اتفقده اذ لم يكن من النوع الذي يصعب تسلقه ، بدأت بالجدار الاول من جهة الشمال وانهيته دون ان اجد فيه ما يريب وددت أتفحص الجدار الخلفي وقبل ان اصل الى نهايته شاهدت حجرا كبيرا على مقربة من الجدار فكرت ان من المحتمل أن يكون هذا الحجر قد استخدم من قبل اللصوص في القفز الى اعلى الجدار والدخول الى المصنع . خطر على بالي ان اجرب استخدامه للقفز على الجدار لاتأكد فيما اذا كان من الممكن حقا استخدامه لهذه الغاية . قفزت فوق الحجر الكبير وبقفزة ثانية تسلقت اعلى السور بسهولة ثم انحدرت منه الى ارض المعمل دون ان احدث أية ضجة ، بدات انظر حولي لاتفقد المكان الذي حللت فيه وهو عبارة عن ساحة فسيحة فيها بعض المتروكات، اتجهت




بقلم طلال عمر موفق



صوب وسط المصنع لاتفقد الحراس الذين في داخله ، اهتديت الى محلهم بسهولة على صوت احدهم وهو يغط في نومه ويحدث شهيقه وزفيره اصواتا تبدد السكون الذي يلف المصنع تقدمت بحذر شديد فوجدت زميله ينام بالقرب منه ولا زال الموقد مشتعلا ولهيب ناره يبدد بعض تلك الظلمة المخيمة . بدأت اتفقد جوانب المصنع بهدوء تام فلم اجد ما يريب كان كل شيء في مكانه بعد ان ترك العمال المصنع وبعد ان تأكدت ان كل شيء على ما يرام ولا أثر لدخيل ، عينت الطريق المؤدية الى باب المصنع




وقررت ان أسلكها في خروجي وأفتح الباب من الداخل لاوقظ الحارس النائم امامه واوبخه على اهماله . سلكت الطريق المؤدية الى الباب الزجاجي الذي يفصل المعمل عن الادارة دلفت منه الى الادارة وعلى حين غرة لمعت امام عيني وسط ذلك الظلام الدامس قبضة بيضاء كالفضة سقطت عليها ذبالة شعاع من ذلك الموقد وقفت في مكاني اتأملها برهة من الوقت تأكد لي خلالها انها قبضة خزانة كبيرة . مددت يدي اليها وامسكتها ثم جذبتها نحوي فاذا باب الخزانة يفتح امامي ، انها لم تكن مقفلة وقفت أفكر ترى هل هناك يد فتحتها قبل ان احضر ام انهم نسوا اغلاقها عند انصرافهم من المعمل ، مددت يدي اتهجس ما بداخلها فاصطدمت باكداس من الورق محزومة حزما انيقا وقد صفت هذه الحزم فوق بعضها البعض ، لقد كانت دون شك اوراقا مالية تدل هيئتها انها جلبت حديثا من البنك . انتفضت لدى وصولي الى هذه النتيجة وسرت في جسمي رعشة كتيار كهربائي من اعلى رأسي الى اخمص قدمي ثم اخذت الافكار تتسارع الى راسي ... ماذا اصنع ... سأوقظ الحرس واخبرهم بالامر واطلب اليهم استدعاء المدير فورا ... كلا سوف اغلق الخزانة بنفسي وابقى احرسها حتى الصباح . ماذا لو ان لصا سبقني الى هذه الخزانة ... ودخل بنفس الطريقة التي دخلت بها لما شعر به احد وملأ كيسه بكل ما يستطيع حمله من هذه الاوراق المالية وهرب بنفس الطريقة التي دخل بها ... اذن لاصبح من ذوي الملايين بين عشية وضحاها ، سوف يستطيع ان يشتري سيارة خاصة يتنقل بين بلدان العالم سيذهب الى باريس وسويسرا ولندن ... وينزل في الفنادق الفخمة ليسهر على راحته خدم الفندق ويتمتع بالدفء اللذيذ ولن يحس بعد اليوم بالبرد القارس الذي يجتاحنا في هذه الليلة العاصفة . سوف

يصدق على اهله واصحابه ولن يشعر بذلك الحرمان الذي نشعره اليوم فالراتب الذي تتقاضاه لا يكاد يفي بضروريات الحياةلقد آلت بدلة ولدي الى التلف وهو في امس الحاجة الى بدلة جديدة يذهب بها الى المدرسة ، ولكن لم استطع شراءها له حتى الان لان علي اقساط الموقد الذي اشتريته للبيت وايجار الدار قد استحق والان ليس معي سوى ما يكفي لشراء علبة سكائر واحدة فقط ... علبة سكائر واحدة ... واحدة ... فقط ...

الليل ثقيل والهدوء شامل والحرس لا يزالون يغطون في نومهم لم يشعروا بدخولي ولا اخالهم سيشعرون بخروجي سواء خرجت كما دخلت او خرجت وانا احمل معي هذه الرزم التي سوف تجلب السعادة والهناء لي ولعائلتي واولادي سوف اشتري لولدي بدلة جديدة ودراجة يتنقل عليها سوف اشتري لهم منزلا ونترك ذلك الجحر الرطب الذي نسكنه والذي لا يقينا برد الشتاء ولا حر الصيف .

هذه باريس تفتح ذراعيها لي هذه سويسرا . الابواب التي كانت موصدة دوني ستفتح على مصراعيها لتستقبلني كصاحب جاه ونفوذ لا لن ادع فرصة العمر التي هيأها القدر لي في هذه الليلة العاصفة تفلت مني .. لاسرع قبل ان يفيق الحارس .. سحبت اول رزمة خبأتها في طيات معطفي . شددت حزام المعطف بقوة لكي لا تتسرب الرزم منه . ثم تناولت الرزمة الثانية فالثالثة ، فالرابعة والخامسة وسحبت وسحبت حتى امتلأ المعطف بالرزم فحشوت جيوب المعطف والسروال ولم يبق متسع اضع فيه الرزم الباقية . قررت ان اخرج لادفن ما احمله في مكان ما قرب المصنع واعاود الكرة لآتي على البقية الباقية منها اتجهت صوب الباب الزجاجي ونفذت منه وسلكت ذات الطريق الذي دخلت منها ... كان قلبي يدق بعنف واعصابي متوترة تمازجها نشوة الامل الكبير في الاثراء والسعادة المقبلة التي تحفزني على الاسراع في انجاز هذه المهمة .. وصلت الى الجدار وتسلقته بسهولة وبعد لحظات كنت خارج المصنع احمل كنزي معي ولا احد يشعر بوجودي ، الليل لا زال حالك الظلمة والهواء البارد يهب على دفعات ابتعدت عن المصنع وعلى ضوء الشارع البعيد شاهدت أطلالا خربة كانت تصلح ان تكون مخبأ للكنز الذي احمله تقدمت نحوها وجثوت على ركبتي وبدأت احفر في الارض حفرة حتى اذا انتهيت منها اخرجت الرزم من معطفي اودعتها الواحدة تلو الاخرى تلك الحفرة خطر ببالي ان اعرف من اية فئة تلك الرزم النقدية وعلى ضوء مصباح الشارع اخذت اتفرس فيها حتى اذا اتضحت لي الحقيقة لم تقو اطرافي على حملي وشعرت ببرودة تسري في جسدي وبدأت غشاوة تغطي نظري واذا بي اتكيء على حافة الحفرة التي صنعتها بيدي قبل لحظات لا ادري كم من الوقت مضى على هذه الحال حتى اذا بدأت استجمع قواي مرة اخرى سحبت رزمة اخرى لاتأكد منها فاذا بها مثل الرزمة الاولى وسحبت رزمة ثالثة كانت كسابقتيها، كانت الرزم عبارة عن الاوراق التي تحمل اسم المصنع وعلامته الفارغة التي تلصق عادة على منتجاته .

بغداد — طلال عمر موفق

## كـردنيـا

●

هـذي الكردنيا في الشعر — مـن ذوب اللؤلؤ والـدر
نجـمٌ مبيض فـي ليـل — ساج ... موار بالعطـر
قنـديل غـدير منفتـح — يطفو.. ينهل بما يغري ..!

***

ما احلى غنجك يا حمـلي — والراس ينام على صدري
فاشم الشعر ... اداعبـه — واروح اغمغم فـي سكر
مـن راس يمام مختبيء — اشتف عبـيرا للطهر
واقول : اسكري مـن زهر — ام عبق طـفلي يسري ..!؟
يمتـد جناحـا يحملني — لهفـا للغيمات الحمـر

***

يـا صوتا يهمس منغومـا — ينساب بحسي كـالخمـر
وبحر الشوق ... يذوبني — ويزيح رمـادي عـن جمري
يا حلو العـين ويا شغفـا — لهـابا يلمـع فـي الثغر
انا قبل اليوم هـويت بـه — طيفا ... اجلوه في سري
وخشيت عليـه ان جهرت — شفتي ان يجـرح بالجهر
يـا همـا عذبـا يلهمني — شيئا لم يعـرف في الشعر
ساعيش لحلـو موارتـه — حتى تخبـو شمس العمـر

**فؤاد الخشن**

# لقاءات تاريخية مثيرة

بقلم محمد عبد الغني حسن

***



تلجيء الظروف والملابسات بعض شخصيات متخاصمة الى اللقاء في المآزق الحرج ، وقد تكون احدى الشخصيتين المتقابلتين قوية النفوذ ، مستعلية الامر ، متمتعة بالسلطان ، على حين قد فقدت الشخصية الاخرى نفوذها ، والقت سلاحها ، وفقدت مع ذلك عدتها في الصراع المادي ، ولكنها لم تفقد شجاعتها الادبية ، وقوتها الروحية ، وشخصيتها المعنوية ، فتراها تجيب اجابة المتمكن ، وترد ردة المتفطن ، وتحسن الجواب عن كل مسألة توجه اليها ، او كل اعتراض ترد عليها ، فلا تخونها شجاعة الفؤاد ، ولا اصابة المراد ، حتى ولو كان في جوابها مقتلها ، او بين فكيها اشامها . . .

ولا يزال التاريخ العربي الاسلامي على مدى سيره يحفل بمثل هذه المواقف التي سجلها لاصحابها ، ووعاها لهم في معرض الاشادة بشجاعة افئدتهم ، وثباتهم في الموقف المعضل . ومن هؤلاء الرجال قيس بن سعد بن عبادة الانصاري الخزرجي ، وقد كان من اصحاب الرسول عليه السلام ، بل كان له بمنزلة اصحاب الشرطة من الامير . وبلغ به الامر ان كان واليا على مصر ، ولكن معاوية لم يزل يعمل عليه حتى عزل عن مصر وتولى مكانه محمد بن ابي بكر الصديق . وكان هوى قيس بن سعد مع الامام علي بن ابي طالب ، فأقام عنده زمانا ، وشهد معه وقعة صفين والنهروان ، ولزمه حتى قتل ، ثم صار الى المدينة . فلما استقام الامر لمعاوية واجتمعت الكلمة عليه جاءه ليبايعه كما بايعه اصحابه ، فقال له معاوية : وانت يا قيس تلجم مع من الجم ؟ اما والله لقد كنت أحب ان لا تاتيني هذا اليوم الا وقد ظفر بك ظفر من اظافري موجع . فقال له قيس : وانا والله قد كنت كارها ان اقوم في هذا المقام فأحييك بهذه التحية . فقال له معاوية : ولم ؟ وهل انت الا حبر من احبار اليهود ؟ فقال له قيس : وانت يا معاوية كنت صنما من اصنام الجاهلية ، دخلت في الاسلام كارها، وخرجت منه طائعا . فقال معاوية : اللهم غفرا ! مد يدك ! فقال له سعد : ان شئت زدت وزدت !!

وهكذا انطلق قيس في الجواب ، يرد كل كلمة لمعاوية الغالب المنتصر بمثلها ، كأنما يحقق قول سابقه : صادف درء السيل درءا يدفعه . .

وقد تكون الالفة وسابق المودة سببا في الاجتراء على الرجال حين مواجهتهم ومجابهتهم بما لا يحمدون . ولكن الهيبة والرهبة قد تعقد لسان الشجاع وخاصة اذا احس ان الموت مطبق عليه من كل جانب ، وان المحاورة ليست الا سبيلا لتصيد الاخطاء ، حتى يكون فيها الغدر لقتل المغلوب على امره . فقد التقى الخليفة ابو جعفر المنصور العباسي والامير ابا مسلم الخراساني ، دعامة الدولة العباسية ، لقاء كان غايته مقتل ابي مسلم بعد الذي سلف من اياديه في خدمة العباسيين . وكان ابو جعفر ينكر على ابي مسلم الخراساني كثيرا من الامور وينتظر هذا اللقاء المدبر الذي اعده الخليفة العباسي للتخلص من خصمه الخراساني . وهنا نرى ابا مسلم لا يصمت في هذا اللقاء الرهيب ، ولا يجب جواب المتهور اليائس ، ولكنه يجيب اجابة الرجل الرصين المعتذر مما قد يكون بدا منه، الملتمس تعليلا لكل تصرف اخذه عليه المنصور . فنرى اسئلة المنصور فيها عناصر التحدي والاستفزاز والاثارة ، ونرى اجوبة ابي مسلم فيها الدهاء والتماس التخلص . ولكن الخليفة الحاقد عليه لا يعفيه ولا يقبل ان يعطيه يده ليقبلها ويعتذر . ويبداه ابو جعفر بالسؤال قائلا : ما فعل السيفان اللذان اصبتهما من عبد الله بن علي بن عباس ؟ فقال: هذا احدهما فقال ابو جعفر : ارينه ! فناوله السيف فوضعه الخليفة تحت ركبته ، ثم قال له : ما حملك على ان تكتب لابي عبد الله السفاح تنهاه عن الموت ؟ اأردت ان تعلمنا الدين ؟ قال: انني ظننت ان اخذه لا يحل ، فلما جاءني كتاب امير المؤمنين علمت انه هو واهل بيته معدن العلم . وهنا زاده المنصور في التحدي سؤالا آخر : فلم تقدمت علي في طريق الحج ؟ ( وقد كان الرجلان حجا في عام واحد ، وسبق ركب ابي مسلم ركب ابي جعفر ) فاجابه ابو مسلم جوابا فيه مخرج من الحرج ، ومتسع للقدر . . . ولكن المنصور زاده في السؤال المحرج فقال له : حين انتصرت على عبد الله بن علي بن عباس اردت ان تتخذ جاريته لنفسك ؟ قال : لا : ولكني خفت عليها ان تضيع ، فحملتها في قبة ووكلت بها من يحفظها . . .

وما زال الخليفة المنصور يلح على الرجل بالاسئلة التي تحمل التهم الخطيرة، والرجل يرد في حكمة ودهاء للتخلص منها ، ولكن ذلك لم ينفع وقد كان الخليفة مصمما على قتله ، فقال له : قتلني الله ان لم اقتلك ! وانتهى به الامر الى ان تناوله كمين كان المنصور قد اعده ، فانهالوا عليه ضربا بالسيوف ، ثم ذبحوه وقطعوه قطعا قطعا ، والقوا باشلائه المزقة في نهر دجلة . . .

على ان هناك لقاء طريفا حدث بين تيمورلنك القائد المغولي التتري ، والمؤرخ العربي ابن خلدون صاحب المقدمة التاريخية المشهورة . وقد روى ابن خلدون نفسه قصة هذا اللقاء الممتع في كتابه « التعريف بابن خلدون » الذي يترجم فيه لنفسه في آخر كتابه : « العبر » . فقد كان مؤرخنا احد الذين رافقوا السلطان فرج بن برقوق سلطان مصر المملوكي سنة ٨٠٣ هـ في اثناء خروجه من مصر لملاقاة

التتار وصد هجومهم . فلما اختلط الامر على السلطان فرج وجاءته انباء خشي منها الفتنة في مصر ، رجع اليها وترك جماعة كثيرة من العلماء والفقهاء منهم ابن خلدون . وقام القاضي ابن مفلح الحنبلي بالسفارة بين تيمورلنك واهل مصر والشام ، وانتهى الامر بابن خلدون الى ان استدعي للوقوف بين يدي الغازي المغولي التتري . وكان موضع الاكرام منه ونتركه قليلا يصف استهلاك ذلك الموقف قائلا : ( فاستدعاني ، ودخلت عليه بخيمة جلوسه متكئا على مرفقه ، وصحاف الطعام تمر بين يديه ، يشير بها الى عصب « المغل » جلوسا امام خيمته حلقا حلقا ، فلما دخلت عليه فاتحت بالسلام ، واومأت ايماءة الخضوع ، فرفع راسه ، ومد يده الي فقبلتها ، واشار بالجلوس فجلست حيث انتهيت ) . وطال الحديث بين تيمورلنك والمؤرخ ابن خلدون ، وكان الذي يتولى الترجمة بينهما الفقيه عبد الجبار بن النعمان من فقهاء الحنفية بخوارزم وكان من خواص تيمورلنك ، وصاحبه في كثير من حملاته وحروبه الدموية .

وكان حديث ابن خلدون مع تيمورلنك حديثا كله علم وتاريخ واخبار دول ، وكان تيمورلنك يكثر السؤال على الرجل ، وهو يجيب في تدفق وسعة واحاطة ، وقد رفع تيمور الكلفة بينه وبين مؤرخنا الكبير — على حد روايته — وانس بحديثه وعلمه ، ووسع له صدره ، واعاره اذنا واعية ، واجترأ عليه ابن خلدون فحمل اليه في لقاء آخر هدية على قدر حاله ، وهي مصحف رائع حسن في جزء محذو ، وسجادة انيقة ، ونسخة من قصيدة البردة للامام البوصري في مدح النبي عليه السلام ، واربع علب من حلاوة مصر الفاخرة . ولما وضع الهدايا بين يدي تيمورلنك تناول من علب الحلوى شيئا يسيرا على سبيل التأنيس بذلك ، ثم قسم هو ما فيها من الحلاوى بين الحاضرين في مجلسه !! ولما احس ابن خلدون بمحله من قلب تيمورلنك استشفع للاسرى المصريين من القراء والفقهاء والموقفين واصحاب الدواوين والعمال فشفع فيهم ، واطلق سراحهم .

وهكذا كانت كياسة المؤرخ ابن خلدون وذكاؤه وحسن حديثه وحلاوة لقائه امام طاغية جبار من طغاة التتار سببا في الانة قلبه أو فك اسر المأسورين .

وعلى الضد من ذلك كان لقاء الوالي المصري كرتباي للسلطان سليم العثماني الذي فتح مصر سنة ٩٢٢ هـ . فقد كان كرتباي على راس المقاومة المصرية للغازي العثماني ، وابدى من ضروب الشجاعة المادية ما لم يغفله له التاريخ ، وكان فارسا معلما لا يشق له غبار ، ولكن غلبته بنادق العثمانيين التي لم يألفها المصريون من قبل ، فاصابته بندقية في فخذه فأضرته ، فهرب ولجأ الى رجل من اصحابه يختبىء عنده ، ولكن الرجل دل رجال السلطان سليم عليه نظير مبلغ من المال وعدوه به ، فلما جيء به الى خيمة سليم ، نظر اليه قائلا : انت كرتباي ؟ قال : نعم ! قال : اين فروسيتك واين شجاعتك ؟ قال الرجل في كبرياء : باقية على حالها ! قال له السلطان سليم : اتذكر ما فعلته مع عسكري ؟ قال : اذكره ، ولا انسى منه شيئا . قال : ما فعلت بعلي بن شهوار ؟ قال : قتلته مع جملة من قتلتهم من عسكرك !. وما زال يتكلم كلام من وثق انه مقتول ، وانه لا امل له في الحياة ، حتى احتد في الاشارة ، ورفع يده في وجه السلطان قائلا :

— اسمع كلامي : واصغ اليه ! حتى تعلم انت وغيرك ان منا فرسان المنايا والموت الاحمر . وان واحدا منا بعسكرك كله في الشجاعة ! واذا لم تصدق فجرب ! فأمر عسكرك ان يترك ضرب البندق فقط ، وها انت معك مائتا الف من جميع الاجناس ! وقف مكانك ، وصف عسكرك ، ويخرج لك منا ثلاثة انفار ! عبد الله ، والفارس الكرار السلطان طومامدباي ، والامير علان ! وانظر بعينيك كيف تفعل هذه الثلاثة ، تبقى تعرف روحك ان كنت ملكا ، او يصح لك ان تكون ملكا ؟ فان الملك لا يصلح الا لمن يكون من الابطال المخبورة كما كان عليه السلف الصالح — رضي الله عنهم ، فانظر في التواريخ ما كان من الامام عمر بن الخطاب — رضي الله عنه وخذل باغضيه — من الشجاعة ، وكذلك الامام علي بن ابي طالب — رضي الله عنه وكرم وجهه ! واما انت فقد لفقت لك عساكر من اطراف الدنيا من نصارى ومن اروام ومن غيرهما ، وجئت بهذه الحيلة — يعني البنادق — التي تحيلت بها الافرنج لما ان عجزوا عن ملاقاة العساكر الاسلامية . . .

وظل الرجل في كلامه يوجه الخطاب الى السلطان سليم العثماني في حديث طويل رواه المؤرخ ابن زنبل الرمال مؤرخ الحملة العثمانية على مصر ، والسلطان يسمع ، والاعجب ان السلطان اخذيناقشه ويحاوره ،ولعلهكان معجبا بشجاعته المادية في الحرب ، وبجراته في المقال .

ويبلغ الامر بالسلطان سليم ان يسأله : حيث كانت فيكم الشجاعة والشجعان والفرسان ، وانتم على الكتاب والسنة كما زعمت فبأي سبب غلبناكم ؟ ومن ارضكم اخرجناكم واستعبدنا اولادكم ، وافنينا جموعكم ؟ وها انت وقعت اسيرا بين يدينا ؟!

فقال الامير المصري كرتباي : والله ما اخذتم ارضنا بقوتكم ولا بفروسيتكم ، وانما ذلك امر قضاه الله وقدرة في الازل ، وقد جعل الله لكل شيء بداية ، ولكل بداية نهاية ، ولكل دولة مدة معلومة ، وقسمة مقسومة . . .

ويروي مؤرخنا المصري ابن الرمال ان السلطان سليما انفحم ، ولكنه اظهر الحلم وفؤاده يتوقد من شدة الغيظ لما اغلظ عليه الوالي المصري كرتباي ، واقام عليه الحجج المسكتة التي ليس لها جواب .

والحق ان السلطان سليما العثماني اعجب بشجاعة هذا المدافع المصري الذائد عن حياض وطنه ، ووجه الكلام الى « خير بك » قائلا : ما تقول في هذا الرجل وجوابه وقوة

## الى شجرة محتضرة

اهكـذا انت ؟! لا زهـــر ولا ثمـر
ولا ظـلال عـلى الحران ، تنهمــر
ولا غصــون ترد الــروح خفقتهـــا
ولا الحمــائم بالاوراق تستتــر !..
... كم قام عندك لي مغنى ومنتجع
حـدوده الصحـو والآفاق والقمـر
وموسم من رؤى زهـراء ان خطرت
تضاحكت في الدجى الاحلام والصور
... ماذا دهى «التوتة» العـذراء ؟
هــل شربت ؟
كاس المنية ، اذ طـافت بـه الغـير
ام انها سئمت ليل الوجـود ، فـلا
ترجو الصباح ولا الاشراق تنتظـر
ايـن المفر ؟! اذا مـا نـابني سقـم
وسال دمـع الرزايـا وانبرى البشر
بمن الـوذ ؟! ودرب العمر موحشـة
يا للغريبين !.. لم يرحمهما قدر !..

**محمد شمس الدين**



قلبه ؟ ان قتل مثل هذا لا يليق ، واني افتخر بمثل هذا في عسكري ، واجعله سنجقا . ولكن « خير بـك » قال للسلطان : ان ابقيت عليه وجعلته وزيرا ، فانه يفسد جميع عسكرك ، ولا يبقي عليك . وقد كان هذا حسدا من خير بك وبغضا في المماليك المصريين الذين عرفوا بالشجاعـة والذين خشي العثمانيون على انفسهم منهم . ولم تخـن الرجل شجاعته حتى في اللحظة التي كان سيف السياف فيها مصلتا فوق راسه ، فأخذ يسب السلطـان وجلاده أفحش سباب ...

ولا يفوتنا في هذا المعرض الحافل في تاريخ الملاقيات العربية الرائعة لقاء الزعيم احمد عرابي للخديو توفيق في ميدان عابدين . فقد ذكر المؤرخون انه لما وقف عرابي امام توفيق حياه التحية العسكرية ، فسأله الخديو : ما اسباب حضورك بالجيش الى هنا ؟ فاجاب عرابي في عزة : جئنا نعرض عليك طلبات الجيش والامة، وكلها طلبات عادلة. فقال الخديو : وما هذه الطلبات ؟ فاجابه عرابي : هي عزل رياض باشا ، وتشكيل مجلس النواب ، وابلاغ عدد الجيش الى العدد المعين في الفرمانات السلطانية ، فقال الخديو : كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وانا خديو البلد واعمل زي ما انا عاوز ( وفي رواية اخرى انه قال : كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وانا ورثت ملك هذه البـلاد عـن آبائي واجدادي ، وما انتم الا عبيد احساناتنا ) . فاجابه عرابي في عزة الحر الابي : لقد خلقنا الله أحرارا ، ولم يخلقنا تراثا وعقارا ، فوالله الذي لا اله ألا هو اننا سوف لا نورث بعد اليـوم .

وهكذا تكون اللقاءات التي يرتفع فيها قدر الرجال ، الى مرتبة البطولة والابطال ...

**القاهرة** **محمد عبد الغني حسن**


محمد رجب البيومي

# النعمان يأتمر بولي نعمته

بقلم محمد رجب البيومي

كان من عادة كسرى ان يرسل كل عام قافلة تجارية الى سوق عكاظ تبيع ما تحمله من بضائع فارس وترجع موسقة بما يعهده الفرس لدى العرب من اشياء ، ولكن بعض الانتهازيين من بني عامر وبني يربوع قد اغاروا على القافلة فانتهبوها قبل ان تصل الى السوق ، وكان على النعمان ان ياخذ للموقف عدته قبل السلب فيرسل من جنوده من يحمي القافلة من الاعراب ، وان لديه من جنود الفرس وحدهم اثني عشر الف فارس مدجج بالسلاح ، غير جيشه العربي الخبير بدروب البادية ومنعرجات الصحراء ، فاعتداء القوم على قافلة كسرى ليس سلبا للمال وحده ولكنه انتقاص لمكانة كسرى في العرب ، واستصغار لشأنه في الناس، وقد حار النعمان فيما يصنع ازاء ذلك الحدث الهائل من الاحداث ، فجرد جيشا بقيادة قابوس ابنه لتأديب هؤلاء المرقة من شذاذ الآفاق في بني عامر ويربوع فرجع الجيش مندحرا مهزوما قد اسر قائده وذوو الشأن فيه من الابطال، وطارت انباء ذلك الى كسرى ، فهاج هائجه ، وارغى وازبد مغتاظا ، وارسل خطابه الى النعمان يوبخه ويهدده ، وكتم النعمان الامر على خاصته غير عصام بن شهيد وعدى بن مرينا، فقال عصام لا بد ان يغضب كسرى لقافلته ولا ينتظر منه غير ذاك ، واطرق عدى بن مرينا لحظات ثم سأل في دهاء : من كتب خطاب كسرى ابيت اللعن ؟ فرد النعمان : لا يصدر الينا خطاب كسرى دون ان يخطه عدى بن زيد ، فاعترض عصام يقول : ان عديا امر فأطاع : فقال عدى بن مرينا ، كان عليه ان يخفف الوقع في البلاط فلا يدوى صداه في الارجاء فاذا عجز عن ذلك تلطف قليلا في صياغة الخطاب ثم سكت لحظات ليقول : ولعله معذور كما يقول عصام ! ولكن النعمان قد اقتنع بما يحاول عدى بن مرينا ان يثيره فقال في اسف : كان على عدى ان يلطف في صياغة الخطاب ولكنه تغير وتحول دون نزاع !! وكان مجلسا كئيبا غمر النعمان بشتى الانفعالات وشاء ان يصعد الى شرفة الخورنق تبديلا للجو فاصطحب معه عدى بن مرينا ، واخذ مكانه الى جانبه يتحدثان .

قال النعمان ماذا اصنع في هذا الذي تخلى عنا بعد استمساك ؟ فرد عدى : تستطيع ان تستميله بمعسول الخطاب .

فبرز الغضب في وجه الملك وصاح مغتاظا انا ملك وهو سوقة ومثلي لا يستميل من دونه بمعسول الخطاب !

فتطلع عدى الى صاحبه ، وظهر على وجهه من الاهتمام ما ينبيء عن قول خطير يهم باذاعته وقال في تأدب :

اعلم يا مولاي ابيت اللعن انك ملك لا تستميل غير الملوك من النظراء ولكن ما بلغني عن عدى منذ ايام يحتم علي ان اشير عليك باستمالته اليك اذا تشاء .

فاظهر النعمان اهتماما شديدا بما سمع وسأله في عجلة: ماذا بلغك منذ ايام !؟

فقال عدى في صوت اقرب الى الهمس : كان هنابالحيرة احد الدهاقين المقربين الى الايوان ، وقد تحدث عن عدى فزعم امام المنخل انه يشيع في البلاط الفارسي ان النعمان صنيعته وصنيعة ابيه ، وهو يتلقى اوامره وكتبه فلا يملك غير الاذعان ، ثم قال ابن مرينا وقد قلت للدهقان ان عديا صهر الملك ، ولا بد ان يعرف له مكانه الاشم في ملك الحيرة وقيادة الناس فرد الدهقان يقول : لقد اعلن عدى في البلاط الفارسي انه تسرع في اختيار هند بنت النعمان وقد وجدها بعد الاختبار بحيث لا تشرف في الايوان !! ولا بد ان يردها له بعد ايام !

فنهض النعمان كالمذعور وصاح في غضب لم لم تأتني هذه الانباء قبل الاوان !! فأطرق ابن مرينا يقول : لقد جابهت الدهقان بالتكذيب ، واوصيت المنخل الا يظهر احدا في الحيرة على ما سمع من الدهقان ، وكنت لا ادري حقيقة امره اكاذب هو ام صادق فلما جاء خطاب كسرى ورايت خط عدى ينبيء عن اتجاهه نحو الملك زال ما خامرني من شك ، وعزمت على ان ابلغك الامر لتحتاط !

وتابع ابن مرينا يقول : وقد امرت شاعرك المنخل بملازمة الرجل ليسبر ما لديه ويجيئني بما قال : فصاحبه المنخل كما اردت ، ولكني لم اسأله عما كان !!

فصفق النعمان يطلب احد الخدم ، فسأل ابن مرينا في حذر ايريد مولاي ان يستدعي المنخل الآن ؟ فصاح النعمان نعم سأحضره لاقف على جميع ما لديه ! فابتسم ابن مرينا في دهاء وقال : أؤثر الا تخاطب المنخل شخصيا يا سيدي

فيعتقد ان لديه من الاسرار ما يهتم به الملك ، ولكني سأحدثه عنك وآتيك بما يعلم اذا أردت صونا لمجلس مولاي ، اما ان صممت على استدعائه ، فالامر امرك ابيت اللعن .

فتراجع النعمان يقول : سأكل اليك وحدك استكناه ما مديه اذ لا يليق بي ان اتلقى الانباء من العامة وان كانوا من رجال الخورنق في مرأى الناس .

وكان هذا التراجع انقاذا لعدى بن مرينا ، فانه قد لفق حديث الدهقان لساعته اذ وجد نفس الملك مهيأة لسماع الشر عن عدى ، وقد أقحم ذكر المنخل اليشكري في السياق ثقة منه انه رهن اشارته فيما يأمره بادعائه ، لذلك كان جل همه حين انتهى مجلس الملك ان يتصل بالمنخل وان يطلعه على ما كان ليجد لديه الترحيب والاستعداد ، وتمتد بهما الوقيعة الى ابعد مهواة فيتفقان على ان يزعم المنخل ان الدهقان الفارسي علم من الايوان أن عدى بن زيد يعمل على انتزاع الملك من النعمان لانه قد خدعه حين زعم له اعتناقه النصرانية ليجعل منه قنطرة يعبر بها الى السلطان ، اذ ان الايام قد مضت دراكا على ملكه ولم يبد منه ما يشير الى دينه المزعوم ، وفي وسعه ولديه قوة فارس من الاساورة ان يجهر بما يشاء !! وهكذا كان حديث النعمان عن سره الكظيم الى زوجته المتجردة سببا في افتراء هذا القول وتأكيده ، بعد ان اذاعته الى المنخل في احدى لحظات الصفاء ، وقام الشاعر بدوره فاذاعه الى ابن مرينا ، ليرجعا به ثانية الى النعمان فيزعزع ثقته بصهره زعزعة تسلمه الى الفزع والاضطراب!! وكأن الايام قد أخذت بحوادثها المفاجئة تضلع مع الحاقدين في مكايدهم المتلاحقة ، فانكشفت عما يزيد الشك ويقويه اذ جاء خطاب كسرى يطلب من النعمان ان يبعث الى المدائن بجميعمن لديه من الاساورة ، استعدادا لحرب قادمة مع الروم ، ولو نظر الملك بعين الواقع لعرف ان هذا المطلب في مثل ذلك الظرف الحرج طبيعي لا يخفى وراءه شيئا من التربص والايقاع ، ولكن سموم حاشيته قد جعلته يرى السوء في كل ما يفد عن طريق عدى بالايوان ، فارتجت الارض به شر ارتجاج ورأى ان يعقد مجلس خاصته ليبحث الموقف مستهديا بما يسمعه من الآراء ، وعجل فدعا عدى بن مرينا وعصام بن شهيد والنابغة الذبياني ، ثم قرأ كتاب كسرى واستوضح الآراء على قلق وضجر لا يعهد فيه منذ ملك الزمام .

قرأ عصام الكتاب واستأذن الملك ليقول : ان كتاب كسرى — ابيت اللعن — لا ينبيء عن شر يراد ، فجيوش القياصنة في الشام تجيئها الامداد المتلاحقة من القسطنطينية ، وكسرى يتجمع ليضرب الضربة الاولى قبل ان تتلاحق هذه الامداد ، فاذا طلب جيشه بالحيرة فقد قام بما يجب عليه في مثل هذا الموقف ، بل ان له مع ذلك ان يطلب جيشنا العربي الذي نعتمد عليه بالحيرة لنؤازره في موقفه الخطير!

فابتدر عدى يقول ان اثني عشر الفا من الاساورة لا يحتاج اليهم كثيرا جيش فارس وقوامه تسعمائة الف من الصناديد !! واني لارى شرا سريعا في هذا المطلب الخطير !

فقال النابغة ولماذا نفترض الفروض ، ولا يكتب مولاي النعمان الى صهره الحريص فيطلعه على الراي السديد !

فتضاحك ابن مرينا ، ونظر الى النعمان نظرة ذات معنى ، فقرأ النابغة ما يدور بنفس عدى ، وتذكر انه يحمل غلا قديما لآل زيد بن حماد من العباديين ! وانه يندفع الى الظن السيء بوحي قديم قد لا يتبين مأتاه !! فابتسم يقول موجها خطابه للنعمان !

ان عدى بن مرينا — ابيت اللعن — لا يتبين الآن حقيقة مشاعره نحو آل زيد بن حماد ولن تجنح رايه في هذه القضية الى الانصاف !

فأحس ابن مرينا ان افعى قاتلة قد لدغته ، فتطلع كالمذعور الى النعمان ، واستنجد بكلمات يرد بها على النابغة فلم يسعفه البيان ، غير ان الملك قد قال للنابغة : ان عديا يعلم من الحقائق القريبة ما تجهله انت ، وقد نسي خصومته القديمة منذ مات حماد بن ايوب وقد كان يجلس زيد بن حماد في مجلس ابي المنذر ويكن له الاحترام !! فروح ذلك عن عدى قليلا ، ورأى النابغة الافائدة في النقاش بعد ان ابدى الملك رايه القاطع فاتجه الى النعمان يسأله : وماذا سيصنع مولاي ؟

فاجاب الملك في ارتباك بمتشيرون أنتم فأستبين الطريق.

فقال عصام : لا بد من اجابة كسرى لما يريد فنبلغ الاساورة بضرورة الرحيل !

فهز الملك راسه وهو يردد : لا بد من اجابة كسرى لما يريد فنبلغ الاساورة بضرورة الرحيل !!

ثم انتظر برهة كمن يلتمس طريقه وصاح بعصام ، قم انت فبلغ رئيسهم واقرأ عليهم الكتاب !

ففهم الجميع ان الامر قد انتهى ، وبادروا بالانسحاب فاستوقف الملك عديا وانصرف زميلاه !!

كان النعمان في حالة من الغيظ اضاعت فكره السديد ، وحولت ذهنه الى امور بعيدة لو تعقلها في غير حالة الغضب ما اندفع في مسلكه العنيد ، فما كاد يخلو بعدى بن مرينا ، حتى قال له في اندفاع اعلم يا عدى ان النابغة رجل شاعر لا يعرف دهاء الماكرين ، ولا يرى في عدى بن زيد غير صورة من نفسه البريئة، فاذا كان قد آلمك بعض القول ، فلا تتأثر نفسك به ، وحسبك نيته البيضاء ، اما عصام بن شهيد فانسان مخلص الا انه لا يظن الشر بأحد دون ان تتجسد له بواعثه تجسدا يلمسه باليد ، واقناعه بدخيلة عدى الماكرة امر يتطلب اللجاج ، وما دمت انت معي فأنا في غير حاجة الى اقناع النابغة او عصام فأستدرك عدى بن مرينا يقول في تحايل : ومن يدري — ابيت اللعن — فلعلهما المصيبان في امر عدى بن زيد ! ولعلنا نتوهم فيه توهما هو الى الظن البعيد اقرب منه الى الحزم الاكيد !

فنظر النعمان نظرة فاحصة الى صاحبه ، وقد اصطبغ وجه الملك بكدرة غاشية زادته قتاما على قتامه وبدا كأنه

قطعة من غبش الظلام ، لولا انفراج اسنانـه المتآكلة عن بياض شائه كريه ثم قال انا اجزم الآن بغدر عدى بن زيد جزما لا يتطرق اليه سبب من الشـك الضعيف ومعـي الدليل !

فنظر عدى كانه يستدرج الملك قائـلا بلسان الحال لا بلسان المقال وما دليلك على هذا الجزم الاكيد ؟ وقد قرأ النعمان هذا التساؤل في نظرته ، فقال في همس مرير : ان الدليل الاكيد على غدر هذا اللئيم هو ما ذكره الدهقان للمنخل من ان عديا قال لرجال الايوان ان النعمان خدعني حين اعلن ميله للنصرانية وتصميمه علـى اعتناقها ، لاني بالفعل قد خدعته بذلك دون ان يعلم احد من الناس غير عصام بن شهيد وزوجتي المتجردة ، وعصام كما جربته في مدى عشرين عاما كتوم امين لا يفوه لاحد بادنى سر ولو قطعت رقبته بالسيف بترا ، اما زوجتي المتجردة فلا تتصل باحد غير وصائفها المخدرات ، ولن تقول لهن من سرى مـا تحرص على كتمانه الشديد ! فاذا ذاع ذلك النبأ في بلاط كسرى وعرفه العامة من الدهاقين قبل الخاصة من المرازبة والاساورة فسينتشر هنا في الحيرة عن قريب ! ولن يتورع عدى نفسه من ان يذيعه امامي بمشهد من الناس اجمعين !

ثم عض على شفتيه وهو يقول : وسيجيء اليوم القريب الذي يعلم فيه كل شخص من رجال الحيرة واعراب البادية اني صنيعة عدى ، وانه الذي اشار فكنت الملك ، ولو شاء غيري لتقدم سواي ! وتلك التي تجعلني ضحكة هزاة بـين الملأ من القاطنين والنازحين فشخص عدى الى الملك وقال في خدعة : لا اظن الامر يصل الى هذا الحد بينك وبـين صهرك القريب !

فصاح النعمان : اين عقلك يا ابن مرينا ! انسان يخبر عن سرى دهاقنة فارس ايتورع ان يذيعه لاقاربه في الحيرة من العباديـين !

ثم صعد زفرة من صدره وهو يقول : وهل نسيت مـا ذكره الدهقان عن تبرمه بابنتي هند ، وعزمه على ارسالها طريدة الي ، لو فعل ذلك وتناقلته العامة لم يبق لي بينهم مكـان !! ان اخوتي لا يزالون للآن يتهكمون بي ، ويقولون: قدم ابنته سريعا الى زيد بن حماد دون ان يقيم مظاهر الاعراس ، فنزحت كالاسيرة البائسة كسيرة الجناح ! فماذا عسى ان يقولوا حين يرونها ترجع طريدة كاحقر اعرابية في بوادي تيم وكلاب !!

فصاح عدى ايفعل ذلك ! انه اذن للئيم جبان .

فرد الملك في انفعال ، يفعل ذلك واكثر منه ما دام قد تحدث به على رؤوس الاشهاد .

وجاءنا به الدهقان !

فقال ابن مرينا لا زلت اقول لعله تزيد فيما نقل .

فنهض النعمان صائحا كدت ان تصبح يا ابن مرينا غرا كالنابغة او مسالما كعصام بن شهيد !لن تنفع لاستشارتي بعد الآن !

فضرب عدى بن مرينا على صدره بيده وقال: ابيت اللعن ايها الملك ، اني اعلم غدر عدى بن زيد ، ولكني اقول فـي نفسي : لعل الملك يوفق الى حسم النزاع معـه اذا هـدأ خاطره قليلا وعاوده الصفاء ، وما حاولت معارضتك الآن الا لاخفف من غضبك قليلا ، فتراسلـه فـي الامر بنفس مطمئنة وقلب ذي غفران .

فضغط النعمان باسنانه على شفتيه كالمحنق المغيظ : وهو يقول : هيهات يا عدى لن يجتمع في القراب سيفان بعد ان قال ابن زيد ما قال !! لا بد من الغدر به قبـل ان يبلغ السيل الزبى فيغرق الاسد في طوفانه الجياش .

فاستشعر ابن مرينا فرحة عميقة في نفسه اذ وصل الى مأربه المقصود فنجحت وشايته دون ان يفتضح جهرة بمسعاه ثم اطرق الى الارض واضعا جبهته على كفه كمن يفكر في خطر محيق ! وقال بعد سكتة طويلة ، ما شئـت يـا مولاي !

فهز الملك راسه وهو يقول متضاحكا كمن اهتدى الـى حل مريح : اسمع يا عدى سيأتي هذا اللئيم بعد عشريـن يوما الى الحيرة في موسم الشعانين كما اعتاد ، وسأتظاهر بالمرض فيعرج الى زيارتي بالخورنـق ، فاذا ولـج الباب امرتك انت بالقبض عليه مع تابعين قويين مسلحين من امناء القصر ، وسيكون غير متوقع لما ندبر الان ! فيذعن للاعتقال، فاذا سقتموه الى ( المطبق ) في اسفل الخورنـق كتمتم انفاسه خنقا ، ثم نعلن للناس انه مات موتة طبيعية لا غدر فيها او ائتمار !

فسأل عدى فاذا بعث كسرى متسائلا عنه فبماذا نقول: سنعزيه متباكين على موته ، وهو يعلم جيدا اني صهره وذو صداقته فلن يرتاب في مهلكه بحال !!

فتابع عدى يسأل : وماذا تقول لابنتك هند حين تفاجأ بموته السريع !!

فضحك الملك وهو يقول : وهل تكترث ابنتي لفقـده ، وقد نغص عيشها بالايوان وهم بطردها كالسبية ليفضـح اباها بين العشائر والقبائل في الحواضر والبوادي !! فيلحقنا افدح الشنار !!

فسكت عدى بن مرينا ، ولم يفه بشيء ، فصاح بـه النعمان متجهما : اخالك مترددا في انفاذ ما وكل اليك !

فتعجل عدى يقول : كلا يا مولاي ، وسترى ما تريد يوم الشعانين بعد العشرين في حذر واحكام !

فتأمل النعمان في وجهه كمن يختبر ولاءه مستشفا ادق الخوالج لديه ، حتى اذا اطمأن الى اختباره همس في اذنيه: ولن يعلم انسان .

فأجاب عدى : ومن الذي يعلم يا مولاي ...

الفيوم — **محمد رجب البيومي**



اميل توفيق

# التوجيه الخلقي المبدع

للمحال النفسي الامريكي اريك فروم

عرض وتلخيص : اميل توفيق

## مميزات عامة

منذ عصر الادب الكلاسيكي والاوسط حتى اواخر القرن التاسع عشر ، بذلت جهود فكرية للتعرف على ماهية الرجل الصالح ، وماهية المجتمع الصالح . وقد جاءت هذه الكتابات في صور فلسفية او لاهوتية ، كما جاء بعضها على شكل رؤى اليوتوبيات(١) . اما القرن العشرون فقد خلا من مثل هذه الرؤى في النقد التحليلي . ذلك ان اهم ما امتازت به كتابات هذا العصر من هذه الناحية هو التحليل الناقد للانسان والمجتمع . وعلى رغم ان هذا النوع من الكتابة الناقدة التحليلية يعد شرطا هاما لتقدم المجتمع ، فانعدم الكتابة المبنية على اليوتوبيا والتي تعكس احلام الكتاب في « عالم افضل » — وفي «مجتمع افضل» وفي « انسان افضل » — قد اضعف من ايمان الانسان من نحو نفسه ، ومن نحو مستقبله وحتى علم النفس المعاصر ، وخاصة التحليل النفسي ، قد وقع في نفس هذا الخطأ .

انفرويد واتباعهقد قدموا تحليلا رائعا للخلق العصابي . فنحن نقرأ الوصف الاكلينيكي للخلق اللامنتج ( يسمى باصطلاح فرويد خلق ما قبل التناسلي ) فنجد هذا الوصف دقيقا حقا بل وتفصيليا الى حد مرهق . ومع ذلك فان المفهومات التي استخدموها مفهومات غامضة وفي حاجة الى مراجعة . أما الخلق السوي ، الناضج السليم ، فلم يلق لديهم اعتبارا هاما . هذا الخلق السوي سماه فرويد « الخلق التناسلي » . وقد ظل مفهوما غامضا او مفهوما مجردا . لان فرويد قد اقتصر على وصفه بالقول : ان هذا الخلق هو النظام او التركيب الخلقيللفرد الذي يستطيع ان يؤدي جيدا وظائفه الجنسية والاجتماعية .

اما نظرية فروم فقد اهتمت بتحليل الخلق المتطور الناضج ، فقد وصف فروم هذا الخلق بانه غاية التطور الخلقي ، وفي نفس الوقت النموذج الاخلاقي للانسان . وقد استخدم هذا الوصف التطوري لشرح مفهوم التوجيه الانتاجي او الابداعي للخلق ( ومدى علاقته بمفهوم فرويد عن الخلق التناسلي ) . ان فروم لايستخدم مفهوم فرويد بمعناه الحرفي المرتبط بنظرية اللبيدو ، وانما يستخدمه استخداما رمزيا يشير تماما الى معنى الانتاج . وذلك لان مرحلة النضوج الجنسي (٢) هي المرحلة التي عندها يصبح في مقدور الانسان ان « ينتج الانتاج الطبيعي » او الانتاج الحيوي . وفي حين ان الانتاج الطبيعي يشمل الانتاج الانساني والحيواني على السواء ، فان الانسان وحده هو القادر على الانتاج المادي .

ان الانسان ليس فقط حيوانا اجتماعيا ، او حيوانا عقليا فحسب ، ولكنه يعرف بانه « حيوان منتج » . اذ هو قادر على تحويل الاشياء التي تتناولها يداه، مستخدما في ذلك تفكيره وتخيله . وليس فقط يقدر على الانتاج ، بل لا بد له ان ينتج لكي يحيا . والانتاج المادي ، مع ذلك ، ليس الا الرمز الغالب للانتاج كمظهر خلقي .

ان التوجيه الانتاجي للشخصية انما يشير الى اتجاه عقلي ، او الى قالب ارتباطي بكل مجالات الخبرةالانسانية. فهذا التوجيه انما يشمل الاستجابات العقلية والوجدانية والحسية من نحو النفس ، ومن نحو الاخرين ، ومن نحو الاشياء . ان الانتاج هو مقدرة الانسان لان يستخدمقواه، وان يحقق كل الاستعدادات فيه . واذا قلنا ينبغي ان يستخدمها فمعنى هذا ايضا ان الانسان يجب ان يكون حرا وليس معتمدا على اخر يتحكم في هذه القوى . وهناك معنى اخر كذلك وهو ان الانسان يجب ان ينقاد للتفكير او الترشيد العقلي طالما انه لا يمكن استخدام قواه الا اذا عرف ماهية هذه القوى ، وكيفية استخدامها ، وهدف استخدامها ، ان الانتاج هو ان يختبر الانسان نفسه ، كصاحب هذه القوى ، وكالمحرك لها في نفس الوقت — اي ان يشعر انه نفسه في اتجاه واحد مع هذه القوى . وليست هذه القوىجزءا منفصلا عنه او مقنعا او غريبا عن نفسه . وينبغي لتحديد المعنى اكثر ان نناقش باختصار « ما ليس انتاجا » .

تقترن كلمة الانتاج بكلمة الخلق وخاصة الخلق الفني . ان الفنان الحقيقي هو المثل الحق للانتاج . ومع ذلك فليس كل الفنانين منتجين او مبدعين . فهناك الرسام التقليدي الذي لا يعرض الا مقدرة تكنية فحسب ، كأن يقدم على

سبيل المثال – لوحة فوتوغرافية نقلا عن الاصل ، ولكن الانتاج او الابداع شيء اخر . يمكن الانسان ان يختبر ويرى ويشعر ويفكر بصورة موجبة دون انتكون له موهبة خلق شيء منظور او متداول . ان الانتاج هو « اتجاه » يقدر عليه كل انسان ، ما لم تقف في سبيله معوقـات وجدانية او عقلية .

قد تختلط كلمة « منتج » بكلمة « نشط » . او كلمة انتاج بكلمة نشاط . وقد كان المعنيان مندمجين في مفهوم أرسطو . ولكن النشاط في المعنى الحديث هو في الغالب عكس الانتاج . ان النشاط هو – بوجه عام – كل سلوك يعمل على التغيير في موقف معين ، وذلك ببذل الجهد ، وعلى العكس ، يوصف انسان بانه سلبي اذا لم يكن في مقدوره ان يغير او يؤثر صراحة في موقف راهن ، بل يتأثر ويتحرك بالقوى الخارجة عنه . فمفهوم النشاط اذن مرتبط ببذل الجهد واحداث التغيير ولكنه لا يفرق بين الشروط النفسية التي تتحكم في النشاط .

ولنضرب مثالا متطرفا للنشاط اللامنتج . فالانسان المنوم تنويما مغناطيسيا يكون في غيبوبة ، ولكنه قد يفتح عينيه ، وقد يتحرك ويمشي او يتكلم . قد يعمل وقد يبذل الجهد ، وقد يرتبط هذا البذل باحداث تغيير . ولكن الشخص المنوم ليس هو الفاعل الاصلي – عقليا – لهذا الجديد ، انما الايحاء من جانب المنوم (بكسر الواو) قد ادى الى هذه النتائج . ان حالة الغيبوبة هي حالة غير طبيعية ، او هي حالة متطرفة تتميز بموقف يبدو فيه الانسان نشطا دون ان يكون هو الفاعل الحقيقي لهذا النشاط . ان نشاطه نابع من قوى مفروضة ، وليس له عليها سلطان .

وهناك طراز اخر من طرز النشاط اللامنتج . وهو الاستجابة نحو القلق سواء كان من النوع الحاد او المزمن – الشعوري او اللاشعوري – وهذا النشاط يكمن غالبا وراء كل الانشغالات الجنونية لكثير من الناس في هذا العصر . وعدا ذلك فهناك نشاط اخر ينبني على الخضوع للسلطة او الاعتماد عليها . قد يكون موقف انسان ما من السلطة هو الخوف او الحب او الاعجاب والتقدير . او قد يكون مزيجا منها جميعا . ولكن سبب النشاط عند هذا الانسان هو الاوامر الصادرة من السلطة سواء كانت شكلية ، او صريحة او ضمنية . ان الشخص نشط لان السلطة تريد منه ذلك ، وهو يفعل ما تريده السلطة تماما. هذا النوع من النشاط هو ما يمتاز به «الخلق التسلطي»(٣)، فالنشاط وفق هذا الخلق هو السلوك باسم السلطة العليا، لا السلوك وفق الارادة الخاصة . فالشخص التسلطي يتكلم ويسلك باسم الله ، او باسم الماضي ، او باسم الواجب . ولكنه لا يتكلم ولا يسلك باسمه هو . ان الخلق التسلطي يتقبل كل ما تثيره سلطة اعلى منه ، لا تهاجم بالنقد ولا تسأل ، ولا تتغير – وبذلك لا يستطيع ان يسلك السلوك العفوي التلقائي الصادر من نفسه .

وهناك طراز اخر هو النشاط الآلي (٤) حيث لا يعتمد الشخص على سلطة معينة شخصية ، بل يعتمد على سلطة لاشخصية تتمثل في الراي العام ، او الذوق العام ، او العرف السائد ، او « متطلبات العصر » فمثل هذا النشاط يصدر من شخص يمتثل لشعور او لعمل ينبغي ان يصدر وفق هذه السلطة اللاشخصية . ان نشاطه يفتقر الى هذه العفوية او التلقائية لان شعوره وعمله لا يصدران عن خبرته العقلية او الوجدانية ، بل يصدران من مجرد التطبيق الآلي لآراء ملزمة له . ان أكثر دوافع النشاط قوة هي الاهواء اللاعقلية (٥) فالشخص الذي يدفعه البخل ، او الماسوشية ، او الحسد ، او الغيرة ، او اي نوع من انواع الطمع والنهم .. انما يسلك سلوكا قهريا خاضعا لتلك الاهواء ، وبذلك لا تكون تصرفاته حرة ، ولا تكون عقلية مترشدة ، لانها تصرفات غير منطقية وفي اتجاه مضاد للاهتمامات الانسانية . ان الشخص الذي تحاصره هذه الاهواء انما يكرر ذاته ، وبهذا التكرار ينحرف اكثر فأكثر نحو الصلابة دون المرونة ، بل يصبح سلوكه صورة مكررة من صيغة معينة او من قالب معين للسلوك(٦) فهو فعلا نشط ، ولكن نشاطه ليس اصيلا بل ليس منتجا.

ورغم ان مثل هذا النشاط المبني على الاهواء اللاعقلية قد يؤدي عند الكثير من هؤلاء الى نجاح مادي او الى نتائج عملية ، فان الانتاج الذي نقصده ليس هو بالضرورة التصرفات التي تقود الى نجاح مادي ، ولكنه النشاط الذي يقترن باتجاه معين او باسلوب للسلوك ، او بطريقة للتوجيه تربط الانسان النشط بالنفس وبالعالم ، في عملية الحياة. اننا نقصد الاتجاه الذي يجعل استعدادات الانسان ومواهبه وقدراته وملكاته تسلك بحرية من اجل البناء والانتاج . فنحن لا نتكلم عن النجاح الذي قد يصل اليه الانسان بطرق كثيرة ولكنا نهتم بالخلق ، وبالنشاط المنتج النابع من الحرية والترشيد .

الانتاج اذن هو تحقيق استعدادات الانسان ، ونشاط قدراته التي يتميز بها اي استخدام قواه استخداما بناءا. ولكن ما معنى استخدام قوى الانسان ؟ ينبغي ان نفرق بين مفهوم القوة كمقدرة الانسان وسعته وكفايته . ومفهوم القوة بمعنى التسلط والسيطرة . فالقوة بمعنى السيطرة هي التي تشل القوة بمعنى الكفاية . ومقدرة الانسان على ان يستخدم امكانياته للانتاج هي قوةكفاية . اما عدم قدرته على ذلك فهو الضعف والشلل . ان بمقدرة الانسان العقلية، يستطيع ان يخترق سطح الظواهر ، وان ينفذ الى اعماقها، وان يتفهم لبابها . وبقوة الحب ، يستطيع ان يذيب الجليد ، او يحطم السياج الفاصل ، بين انسان وآخر .

وبقوة الخيال ، تتراءى للانسان الرؤى الرائعة ، التي بها يخطط ، ومن ثم يخلق ويبدع . اما اذا شلت كفاية

الانسان ، انقلبت ارتباطاته وعلاقاته الى رغبة للسيطرة ، والتسلط على الاخرين كما لو كانت دمى بين يديه . ان السيطرة مرادفة للموت . والكفاية مرادفة للحياة . ان السيطرة تنبثق من عدم الكفاية ، ومن ثم تقتل اية كفاية . فلو ان انسانا ما قد اجبر آخر على ان يخدمه ويرعاه ، فان حاجة هذا الانسان لان يخدم وينتج سيصيبها الشلل والجمود .

وهنا يبرز امامنا سؤال : كيف ترتبط علاقات الانسان الذي يستخدم قواه للانتاج ؟

ان الانسان يختبر العالم بطريقين : الطريق الاول هو اختباره الايجابي النقلي ونعني به الاختبار بطريقة الادراك الحقيقي للصور الحسية للاشياء ، وهو ادراك مماثل لاستقبال آلة التصوير لصور الاشياء مضافا اليه بعض النشاط العقلي .

اما الطريق الثاني فهو ادراكه الخلاق، بان يعيش خبرته، وان يحيي ادراكاته ، وان يبدع منها شيئا جديدا، يعبر عنه نشاطه التلقائي لقواه العقلية والوجدانية الرشيدة .

الطريقة الاولى هي الطريقة النقلية (٧)

والطريقة الثانية هي الطريقة الابداعية (٨) .

وينبغي ان يفهم ان هناك اختلافا بين الخبرتين في حياة كل فرد ، رغم ان كل انسان يستخدم – الى حد ما – الطريقتين النقلية والابداعية . وهنا يلزمنا ان نبحث الحالة التي عندها تنمو طريقة ما وتختفي الطريقة الاخرى . ان اختفاء السمة الابداعية لخبرة الانسان هي ما تتسم به حضارتنا المعاصرة – فقد يمكن الانسان ان يدرك الاشياء كما تبدو امام ناظريه ، او كما تتفق مع حضارته ، ولكنه لا يستطيع ان يحيى هذا الادراك من داخل النفس ، وان يبعث فيه الحياة . هذا الشخص هو الواقعي الكامل (٩) الذي يرى كل ظواهر الاشياء ، او كل الملامح السطحية ، دون ان تكون له القدرة على ان ينفذ الى الاعماق فيرى اللباب ، او يتبصر ما هو ابعد من الظاهر . انه يرى التفصيلات ولكنه لا يرى « الكل » . انه يرى « الاشجار » ولكنه لا يرى « الغابة » . ان الحقيقة امامه هي مجموع ما يتناوله « الحس » . انه لا يعجز عن التخيل ولكن خياله هو الخيال الذي يحصي عديد الاشياء ويضعها جنبا الى جنب دون ما نظر الى علاقات تتعدى حدود الظواهر وحدود الوجود الحسي . وعلى عكس هذا الرجل ، الشخص الذي فقد القدرة على ان يدرك هذا الواقع ، ونعني به الرجل المجنون . ان الشخص المصاب بالذهان(١٠) له عالم هو نسيج وحده ، منفصل عن عالم الواقع . فهو يعيش في عالمه ذاك . واما العالم الذي يدركه سائر الناس فهو عالم غير حقيقي بالنسبة له – مثل هذا الشخص يقال ان خيالاته هي هلوسة ، وهو لذلك يفسر الحوادث التي تجري امامه بمشاعره وهلوساته وخيالاته ، التي لا تمت الى الحقيقة بصلة . اما الشخص المصاب بالبارانويا فقد يعتقد بانه مضطهد ، وقد تحدث امامه اشارة ما تقوي مثل هذا الشعور بالاضطهاد ، ومن ثم قد تقوده فعلا الى ان يحطم نفسه . وامثال هؤلاء المصابين لا يدركون الصورة الحقيقية لما يدور حولهم ، ولكنهم يدركون بدلا منها صورة اخرى داخلية يعيشون فيها .

الواقعي اذن يرى الاشياء كما تبدو ملامحها السطحية، وكما تظهر صورها الظاهرية ، وهو يستطيع ان ينقلها ايضا كما هي مثلما تنقل الكاميرا الصورة الفوتوغرافية ، وهو يستطيع ايضا ان يعالج الاشياء والاشخاص على هذا الاساس الظاهري فحسب .

واما الذهاني او المجنون فلا يستطيع ان يدرك الصورة الحقيقية للاشياء والاحداث ، بل انه يدركها جميعا كرموز، او كانعكاسات لعالم آخر داخلي يعيشه ويحسه .

وكلاهما في الحقيقة مريض . ولكن مرض الذهاني – اذ يبعده عن عالم الواقع – يجعله لا يستطيع ان يعالج الواقع ولا ان يتعامل معه ، ومن ثم يجعله منفصلا عن المجتمع وعن الوظائف الاجتماعية . اما مرض الواقعي ( بالوصف الذي بيناه ) فهو السطحية والفهم الظاهري للاشياء . انه حقيقة مندمج في المجتمع ولكن سعته الابداعية ضعيفة جدا لدرجة انه يفتقر الى التعمق ورؤية العلاقات الباطنية للاشياء ومدلولاتها الجوهرية

ان هذه « الواقعية » تبدو انها عكس « الجنون » ، ومع ذلك فالجنون والواقعي البحت يشتركان في عدم العمق . اما الانسان السوي ففي مقدوره ان يربط نفسه بالعالم بالطريقين : النقلي والابداعي . ان يدركه كواقع – وان يدركه بابداع بحيث يعيش ما يدرك ثم يحييه ، وينميه ، ويغذوه ، بما لديه من قدرات وقوى . فلو فقد الانسان قدرة منهما ، فقد اصابه المرض . ان ادراك الانسان نقليا وابداعيا ، هو الشرط الوحيد للانتاج ، وتفاعل هذين القطبين هو العملية الدينامية للانتاج . فليس الانتاج هو مجموع السعتين بل هو تفاعلهما معا الذيينبثق عنه شيء جديد مبدع .

لقد وصفنا الابداع او الانتاج بانه اسلوب معين للارتباط بالعالم . وهنا نسأل ، ما الذي ينتجه الشخص المنتج ؟ انه ينتج اشياء مادية ، اعمالا في الفن ، ونظما للفكر ، ولكن اهم موضوع انتاجي هو في الحقيقة «الانسان نفسه» . ونوضح ذلك فنقول ان بين الميلاد والموت ، هناك عملية مستمرة لاحياء وتوليد الامكانيات في الانسان . ان النمو الجسمي يسير بطريقة آلية ، ولكن النمو العقلي هو الذي يستلزم الجهد . انه يتطلب بذل النشاط الخلاق لاحياء القدرات الوجدانية والفكرية في الانسان ، بل ويجعلها تولد من جديد ، ان هذه العملية هي جزء من ( مأساة الموقف الانساني ) حيث ان نمو النفس لا يمكن ان يصل الى كماله ، حتى اذا وجدت الظروف المواتية ، فان النفس الانسانية لا يمكن ان تحقق غير جزء من امكانياتها .

فالانسان يموت قبل أن يولد الميلاد الكامل ؛ وهنا يجمل بنا ان نذكر آراء بعض المفكرين والفلاسفة ، خاصا بمفهوم الانتاج او الابداع .

١ ـ ان الانتاج هو احد المفاهيم الهامة التي تفسر نظام ارسطو الاخلاقي . فالفضيلة عنده ترتبط بما يؤديه الانسان من وظائف ، ان الفضيلة يمكن ان تعين بتأكيد وظيفة الانسان . وبعبارة اخرى ان الانسان الفاضل في نظر ارسطو هو الرجل الذي اذ يؤدي نشاطه الراشد ، يبعث الحياة والنمو في الامكانيات الانسانية او الخاصة به كانسان .

٢ ـ اما الفضيلة في نظر « سبينوزا » فمعناها استخدام الانسان لقواه . والرذيلة هي فشل الانسان في استخدام هذه القوى . فلباب الشر لدى سبينوزا هو الخيبة والضعف وعدم المقدرة .

٣ ـ وقد عبر «جوته» شعريا عن النشاط الخلاق اجمل تعبير . ان « فاوست » هو الرمز الانساني «لسعي الانسان الخالد نحو معنى الحياة » . فلا العلم ولا اللذة ولا السطوة او النفوذ ولا حتى الجمال تمنح فاوست الجواب عن سؤاله الخالد . ولكن جوته يعتبر ان الجواب الاوحد لحاجة الانسان لان يجد له معنى هو « النشاط الخلاق » ـ وهو في نفس الوقت مرادف للفضيلة او الخير .

٤ ـ اما ابسن الكاتب الروائي والشاعر المسرحي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فقد كتب نقدا تحليليا للانسان العصري ، في كتابه بيرجنت (١١) . وقد يصلح عنوان آخر لهذه الرواية وهو « الانسان العصري والسعي لاكتشاف ذاته » وبطل الرواية يعتقد انه يعمل لحساب نفسه عندما يستخدم طاقته لاكتساب المال ويصبح ناجحا ومن ثم يعيش بالشعار « كن كافيا لنفسك » ، وليس بالشعار القائل « كن حقيقيا مع نفسك » . ولكنه يكتشف في نهاية حياته ان الاستغلال والانانية قد منعته ان يصبح هو « نفسه » . حجبته عن نفسه فعطلت اكتشافه لذاته . وهو يتحقق آخر الامر ان اكتشاف النفس لا يتأتى الا بان يكون الانسان « منتجا » بمعنى ان يعطي لامكانياته الحياة والازدهار والتعبير .

ان ابسن قد تخيل ان امكانيات بيرجنت التي لم يعبر عنها قد جاءت لتتهمه بخطيئته الكبرى ـ ونعني بها فشله وجموده وضعفه وكسله عن الانتاج .

لقد بينا حتى الان الملامح العامة ، او المميزات الاساسية للتوجيه المبدع . وسنبحث فيما يلي كيف تظهر هذه المميزات في اهم انواع النشاط الانساني ونعني بها الحب والتفكير .

## الحب والتفكير المبدعان

ذكرنا في « الموقف الانساني » ان وجود الانسان يتميز بانه وجود متفرد منفصل عن الطبيعة وعن العالم ، ولكنه في نفس الوقت ، وجود لا يقدر على هذا الانفصال ،ولذلك يضطر ان يرتبط بالعالم ، وان يتحد واياه ؛ وذكرنا ان هناك حاجة ملحة لدى الانسان هي الحاجة التي تحقق له الوجود المستقل كوحدة وجودية متفردة، وفي نفس الوقت تحقق له الوجود المتحد ، اي الوحدة مع الطبيعة ومع العالم . وقد ذكرنا ايضا ان هناك طرقا عديدة لتحقيق هذه الحاجة ، ولكن طريقا واحدا فقط ، هو الذي يمكنه ان يدفع بقواه الحقيقية وامكانياته للتعبير والانماء في عملية الارتباط بالطبيعة وبالعالم وبالمجتمع ، وهذا الطريق الوحيد الذي يشبع هذا التناقض ، ويعطي جوابا لتلك المشكلة الخلقية هو الانتاج او الابداع .

ان الابداع هو الطريق الذي يحقق الوجود المستقل ، كما يحقق ايضا الوجود الارتباطي للانسان .

ان المرء يمكنه ان يرتبط بالعالم عن طريق النشاط والفهم . فهو ينتج الاشياء ، وفي عملية الخلق ، تتمرس قواه ، وهي تسمو على المادة . وهو كذلك يتفهم العالم عقليا ووجدانيا عن طريق الحب والعقل ( المنطق ) . ان قوته في التفكير والتعليل تمكنه ان يخترق السطح وان ينفذ الى اللباب او الى جوهر الاشياء . وذلك عن طريق ارتباطه العقلي بعلاقة نشطة مع هذا الجوهر . وقوة الحب ( الوجداني ) تمكنه ان يخترق السياج الذي يفصل بينه وبين الآخرين . ومن ثم يستطيع ان يتفاهم واياهم . وعلى رغم ان الحب والتفكير لا غنى لاحدهما عن الآخر في تفهم العالم ـ فكل منهما ينبثق عن منبع يختلف عن منبع الآخر . ومن هنا نعالج كلا منهما على حدة .

ان « الحب الابداعي » يختلف حقا عن مفهوم الحب الذي يجري على الالسنة ، فما اكثر المعاني المختلطة المضلة التي ترتبط بكلمة الحب . فهي تستخدم لتدل على (الشعور الذي يخلو من الحقد والغضب ) كما ان المفهوم العادي يشتمل على معاني كثيرة منها ( الميل الخفيف للاشياء ) ومنها ( الشوق العميق لها ) .. ومنها الشعور بالمشاركة ومنها الشعور العميق بالارتباط . والناس لا يفرقون بين الحب المستقل ، وحب الامتلاك . كما انهم يعتقدون ان الحب شيء سهل ميسور طالما ان الانسان يجد الشريك الذي يحب . وان صعوبته تكمن في عدم اللقاء بهذا الشريك . ولكن على عكس كل هذه المعاني التي يكمن فيها تفكير الرغبة ، فان الحب شعور نوعي . ورغم ان لكل انسان السعة والقدرة لان يحب ، فتحقيق ذلك هو من اصعب الامور . ان الحب الحقيقي كامن في الابداع ـ ومن اجل ذلك نسميه « الحب الابداعي » وجوهره دائما واحد سواء كان هو حب الام لطفلها او هو « الحب الجنسي الوجداني » بين فردين . ان على رغم اختلاف العمق والكم ، فهناك عناصر اساسية لكل انواع الحب الابداعي . اما هذه العناصر فهي : الرعاية ، المسؤولية ، الاحترام ، المعرفة .

ان اقتران الحب بالرعاية والمسؤولية انما يدل على ان

الحب نشاط وايجابية ، وليس هوى ينساق المرء بفعله وتأثيراته . ويسوق المؤلف قصة النبي يونان ( يونس ) ، مع اهل نينوى – كما وردت في التوراة – كمثال واضح لمعنى الحب الابداعي ممثلا في كلمة الله ليونان . فقد ارسل الله نبيه ليردع الناس في مدينة نينوى، ويبشرهم بالرجوع عن الضلال والشر ، لكي يعودوا الى حياة الخير والفضيلة والصلاح .. والا فان قصاص الله في انتظارهم ، وان العدالة لا بد ان تأخذ مجراها بالعقاب الاليم . وتروي القصة ان يونا نلم يك يبغي ان يوصل كلمة الله سبحانه او رسالته الى ذلك الشعب لانه كان يميل الى العدالة والقصاص لا الى الرحمة والغفران . كان يميل الى ان يتكلم باسم الله وباسم القانون وباسم العدالة ولا يود ان يقوم بعمل ايجابي ، او بحب ابداعي . فحسبه كان للامر، لا للعمل من اجل الناس ، وبقية القصة معروفة حيث ان كلمة الله عز وجل تدل على ان الحب والعمل شيئان لا ينفصلان وان جوهر الحب هو العمل ، او هو الخدمة . ان المرء يحب الشخص الذي يخدمه ويرعاه . والانسان كذلك يعمل من اجل من يحب . ان هذه القصة ذاتها تتضمن ان الحب لا يمكن فصله عن المسئولية . فلعل النبي يونان لم يك يستشعر المسئولية قبل الناس الذين اوفد اليهم . وربما قال في نفسه كما قال « قايين » من قبل ( هل انا حارس لاخي ؟ ) . والحق ان المسئولية ليست واجبا مفروضا على الانسان من الخارج ولكنها استجابة لنداء يشعر المرء انه نداء من الداخل ومن الاعماق . ان للمسئولية والاستجابة نفس الاساس النفسي . فكونك تستجيب لنداء او تجيب الى ملتمس معناه ان تكون مسئولا .

ان اعظم انواع الحب الابداعي سطوعا ولمعانا هو حب الام لوليدها ، حيث ان مكوناته الجوهرية هي الرعاية والمسئولية . ان جسم الام – اثناء الحمل – « يعمل » من اجل تكوين الطفل . وبعد الولادة ، يصبح حبها هو البذل من اجل انماء الطفل . وحب الام لا يتوقف على عوامل جاذبية في الطفل . انه حب غير مشروط . انه حب يبنى على احتياجات الطفل وعلى استجابة الام لهذه الاحتياجات . ولا غرابة ان يكون حب الام هو اعظم رمز للحب ، يشير اليه الدين او الفن ...

ولقد لا يكون واضحا ان الحب يرتبط بالرعاية والمسئولية، لان الناس يفهمون ان الوقوع في الحب هو قمة الحب . والواقع ان الوقوع في الحب هو مجرد البداية او مجرد الفرصة لتحقيق الحب . حقيقة ان التجاذب بين فردين هو نتيجة شعور بالفراغ الى الملء – اي شعور بالوحدة – بجانب رغبات جنسية واشواق اخرى ، ان كل فرد يشتاق لان يجد شبع حاجاته عند الآخر . اي ان التجاذب بينهما هو نتيجة التجاوب بين تلك الاحاسيس والحاجات والاشواق . ولكن هذا التجاذب يصبح الكسب الذي يمكن فقده اذا لم يكن يذكو بالحب الابداعي . ان الحب لا يكتسب في لحظة كما يقال . فالتجاذب يمهد لبدء الحب . وسعة الانسان لكي يحب « ابداعيا » هي التي تنتج او تنشىء الحب تماما . كما ان كون الانسان يهتم ، يعتبر البداية لنمو الاهتمام . ان الناس يتساءلون فيما اذا كانوا جذابين باعتبار ان موضوع الجاذبية هو الحب ، ولكن الحقيقة ان لب الجاذبية هو سعة الانسان لكي يحب ، ان حب الانسان ابداعيا يتضمن ان يرعى المحبوب ، وان يشعر بتبعة تلك الرعاية . ليس فقط من ناحية الوجود الجسماني ، ولكن من ناحية انماء قواه الانسانية . فلا يتواءم الحب الابداعي مع السلبية ، ولكنه يتضمن العمل والرعاية والمسئولية نحو انماء القدرات الانسانية في المحبوب .

ويشير « فروم » الى ملاحظة جديرة بالتسجيل في هذا الصدد ، فهو يقول انه بالرغم من سيادة الروح العالمية للديانات التوحيدية ، وبالرغم من وجود المفاهيم السياسية التقدمية التي تعبر جميعها عن الفكرة القائلة : ( ان كل الناس قد خلقوا متساوين ) . بالرغم من كل هذا فان الحب للانسانية لم يصبح بعد ( اختبارا عاما ) . ان الحب للبشرية ينظر اليه كنتيجة نصل اليها بعد خبرة للحب الفردي ، او كحب مجرد قد يتحقق الوصول اليه مستقبلا . ولكن الحقيقة ان الحب الفردي – اي حب شخص لآخر حبا ابداعيا – انما يتضمن الارتباط بلباب العنصر الانساني فيه – اي المثل فعلا للانسانية . ان حب انسان ما لآخر ، بوصفه منفصلا عن الحب العام للانسان – انما يشير الى الظاهرة السطحية والى العلاقة العارضة وهو بهذا الوصف يصبح حبا ضحلا لا عمق فيه . لقد يقال ان الحب الفردي العادي ، مختلف عن حب الام لوليدها – وذلك لان الام تحب طفلها حيث هو محتاج الى الرعاية والسند . ومع ذلك فان هذا الفارق موجود بشكل نسبي في العلاقات الانسانية ، ذلك ان كل الناس في حاجة الى اعتمادهم على الآخرين والى المساعدة في بعض الوجوه . والتماسك الانساني هو الشرط الضروري ، لظهور الفرديات وانمائها .

قلنا ان الرعاية والمسئولية هما شرطان هامان للحب ، ولكن الحب يضمحل تماما اذا لم يصحبهما الاحترام والتفهم لخصائص المحبوب . بل ان الحب بدون الاحترام والتفاهم او التفهم ، ينقلب الى حب الحيازة للمحبوب او السيطرة عليه ، لا الحب بمعناه الابداعي التبادلي . ان الاحترام ليس هو الخوف او الرهبة . ان معنى الاحترام هو « القدرة على ان ننظر الى الشخص كما هو » وان نفهم بوعي « فرديته المستقلة وتفرد صفاته » . ولا يمكن احترام شخص ما بدون ان نفهمه . ولن تكون الرعاية والمسئولية واعيتين مبصرتين اذا لم يصحبهما تعرف بفردية المحبوب .

اما عن « التفكير الابداعي » فينبغي بادىء ذي بدء ان نفرق بين الذكاء والتعليل او الفكر المنطقي .

ان الذكاء هو اداة الانسان للوصول الى غايات عملية

وذلك بقصد اكتشاف جوانب الاشياء التي يتعين علينا معرفتها لكي نستخدمها ونعالجها ونسيطر عليها . اما الاساس نفسه — او الموضوعات التي يهدف اليها الذكاء ، فليست موضوعا للتساؤل . ان الذكاء ينصب على موضوعات قد تكون عقلية او لا تكون . والمثال المتطرف لهذا هو الذكاء في حالة الشخص المصاب بالبارانويا ، ان الاساس الذي يبني عليه تفكيره هو ( ان كل الناس من حوله متآمرون عليه ) وهذا الاساس في حد ذاته زائف ولامنطقي . ومع ذلك فان تفكير هذا الشخص منطقي مع نفسه ، وعمليات هذا التفكير تتسم فعلا بكثير من الذكاء ، فهو يربط بين الملاحظات المختلفة بعلاقات منطقية ، ويستنتج منها جميعا نتائج تبدو معقولة لدرجة يصعب معها — لاول وهلة — تفنيدها . والواقع ان تطبيق الذكاء على المشكلات المختلفة ليس قاصرا على امثال هذه الظواهر المرضية (الباثولوجية) فمعظم تفكيرنا هو — بالضرورة — منصب على الحصول على نتائج عملية بظواهرها الكمية والسطحية دون ان نتساءل عن صدق هذه الغايات ( او النتائج ) والاساس الذي بنينا عليه تفكيرنا — بل ودون ان نفهم قيمة هذه الظواهر . اما الفكر المنطقي او التعليلي ( اي الاسلوب العلمي ) فيتضمن بعدا ثالثا ، وهو العمق الذي يصل الى جوهر الاشياء ، ولباب العمليات الفكرية . وفي حين ان المنطق لا ينفصل عن الغايات العملية للحياة — فهو ليس مجرد اداة للفعل المباشر السريع . ان وظيفة المنطق هو ان يعرف وان يفهم وان يتلمس المعنى ويجتذبه ، وان يربط الانسان المفكر بالاشياء برباط فهمها ، انه ينفذ خلال الظواهر السطحية للاشياء ، الى باطنها ليكتشف جوهرها وعلاقاتها الخفية ومعانيها العميقة ومنطقها . فالاشياء ليست ذات طول وعرض فحسب ، بل ذات عمق او ذات ابعاد مختلفة . وبعبارة اخرى ان امام المنطق تبدو الاشياء كمنظر ذي ابعاد واعماق مختلفة . فهو يلمح بالفهم ما في الاشياء من مدركات بعدية ومدركات عميقة — وليست فقط الظواهر العملية المترابطة .

واذا اهتم الانسان بجوهر الاشياء ، فليس معنى ذلك انه مهتم بما وراء هذه الاشياء بل بما هو اساسي ، جوهري ، عمومي ، عالمي اي بالظواهر الاشمل انتشارا ، والاعم شمولا ، متحررة من جوانبها السطحية وظواهرها العارضة ، وما فيها من صلات لامنطقية . وهذا هو التفكير المنطقي الذي يدخل فعلا في التفكير الابداعي . ولكن الاخير يمتاز بصفة هامة وهي ان موضوع التفكير لا ينفصل عن المفكر نفسه . ان للمفكر المبدع علاقة حية بموضوع تفكيره ، ان هذا الموضوع ليس شيئا جامدا ، بعيدا عن خبرة الشخص المفكر ولكنه موضوع خبرته ، ان بين الموضوع والمفكر علاقة اهتمام ، وكلما زادت هذه العلاقة قوة ، كلما كان التفكير مثمرا . ان العلاقة بين الموضوع والمفكر هي التي تجتذب الانسان المفكر ، وتثير حماسه للتفكير . لانها تثير الاهتمام واللذة اللذين يتصلان بفلسفة الحياة او بالنظرة الشاملة الكلية التي يعتنقها او يؤمن بها الشخص المبدع .

ان ما يبعث الفكر — في عملية التفكير الابداعية — هو اهتمام المفكر بالموضوع المثير . انه يتأثر وجدانيا بهذا الموضوع ومن ثم يتفاعل واياه . ان ارتباطه بالموضوع يمثل ( الناحية الذاتية ) ولكن هناك صفة اخرى يتميز بها التفكير المبدع وهي ( الموضوعية ) ومعناها احترام المفكر للموضوع اي القدرة لان يراه كما هو — لا كما يرغب ان يكون — وكأنما التفكير المبدع يجمع الموضوعية الى جانب الذاتية . فهذان القطبان هما الميزان لكل تفكير ابداعي . ولكي تكون موضوعيا ، ينبغي ان « تحترم » الاشياء التي تراها . بمعنى ان تقدر على رؤيتها في وحداتها المستقلة المتميزة ، وفي علاقاتها المتشابكة وهذا الاحترام لا يختلف عما ذكرناه — خاصا بالحب — فكوني اريد ان افهم شيئا ينبغي ان اكون قادرا على رؤيته كما هو كائن ، او كما هو بطبيعته . ان هذه الحقيقة تنطبق على كل موضوع من موضوعات الفكر ، ومن هنا تبرز اهميتها في دراسة الطبيعة الانسانية .

وهناك جانب هام للموضوعية في التفكير الابداعي فيما يختص بالنظر الى الموضوعات المختلفة الحية او غير الحية . وهذا الجانب هو رؤية الظاهرة « كشيء كلي » فلو فصل الرائي او المدرك او المفكر جانبا واحدا او صفة واحدة من الظاهرة التي تمثل الموضوع المدرك ، فهو سوف لا يستطيع ان يفهم الظاهرة فهما كليا . . بل ولا يستطيع كذلك ان يفهم ذلك الجانب المنفصل او الصفة المنفصلة . وهذه هي النقطة الهامة في التفكير المبدع والتي اكدها فرثيمر (١٢) اذ يقول « عندما نرغب في الحصول على فهم حقيقي لمدرك ما او لظاهرة معينة ، يجب ان نعيد النظر والتساؤل والبدء في البحث حتى نصل في لحظة ما الى ادراك بؤرة هامة تظهر ساطعة في مجال الموضوع . وهذه البؤرة لا تنفصل عن الموضوع ، بل انها تبرزه بشكل جديد ، او بتركيب جديد اعمق يفرض نفسه على الموقف الادراكي . وهذا التركيب يتضمن تغيرات في المعنى الوظيفي وفي التجمعات المختلفة لجوانب الموضوع ومفرداته . ان البؤرة والتركيب الجديد يمثلان الصورة والاطار . والمفكر اذ يدرك للموضوع صورة في اطار يدرك له المعنى الذي يمكنه ان يتحقق منه بطرق مباشرة او غير مباشرة » .

وهذه هي الفكرة الاساسية لنظرية الجشتالت في الادراك .

ان التفكير المبدع اذن يحدده عاملان هامان : الاول طبيعة

(1) Utopias (2) Sex maturity (3) Authoritarian character (4) Automation activity (5) Irrational passions (6) Stereotyped (7) Reproductive (8) Generative (9) Perfect realist (10) Psychotic (11) Peer Gynt (12) Wertheimer

# مرارة النشوة

●

لعينيك الحلوتين
يحـلم قمر
وتتمزق امـواج
ولحديثك المنور
ينصت شحرور
عـلى شجرة احلام

في العشيـات
تطل الذكريات من جديد :
في المصيف الاخضر
حيث العشاق يلوكون الشمس
غصت في بحر التأملات
وانت تفترشين الربيع
والرؤى في شرود

وداخل ملهى عبث فيه الظلام
رقصنا حتى الجنون
ضممتك الى صدري الولهان
ووشوشت في اذنيك حكاية الطيب
فانتشيت
وعصرت جيـدك المرمري
ورميت فمي كشوق برعمة الى غمامة
على شفتيك المتهتين
فارتشفت الرحيق

في العشيات يـا حلوتي
تطـل الذكريات من جديد
تحمل الى نفسي مرارة النشوة

**ابراهيم عبده الخوري**



موضوع التفكير ، والثاني طبيعة المفكر الذي يربط نفسه بالموضوع اثناء التفكير . وهذان العاملان معا هما اللـذان يكونان « الموضوعية » . وذلك بعكس الحال في التفكير الذاتي الذي فيه لا يرتبط المفكر بموضوع تفكيره ، ومن ثم يهبط التفكير الى التحيز ، او ينعرج الى تفكير الرغبة ، او الى الاوهام .

ان الذاتية في التفكير الابداعي تتضمن وجود اهتمام بين الشخص وموضوعه والا فكيف يمكن التغلغل الى الاعماق وكشف النقاب عن الاسباب والعلاقات . اذا لم يكن الاهتمام حيويا وملحا ودافعا للعمل الشاق المرير ؟

وهنا ينبغي ان نسأل « اليس البحـث العلمي الحـق مشروطا بعدم الاهتمام الذاتي ؟ » اليست فكرة الحياد هي الشرط المهم لكي نصل بالبحث العلمي الى الحق ؟. ونحن نخطيء بقولنا ان هذا في الواقع زعم خاطىء ، فما من مكتشف او مخترع او باحث الا وتربطه بموضوع بحثه علاقة اهتمام — ولكن المهم في الامر — لكي يصل الانسان الى الحق ، هو ان تكون هذه العلاقة التي تربط المفكر او الباحث بموضوعه، علاقة ليست مضادة للحق ، واية علاقة اخرى توائم الحق وتتفق مع الوسائل التي توصل للحق هي علاقة سليمة . وما عداها ، فلا تعتبر شرطا من شروط البحث العلمي . ان فكرة الحياد الحقيقية انما تنصب على احترام البـاحث للموضوع .. اي رؤيته كما هو ... اي تنصب علـى الموضوعية . اما الذاتية فتنصب على الاهتمام .. ومنهما معا تكمل الرؤية الموصلة الى الحق وان كان نسبيا .

بور سودان

**اميل توفيق**



صليب القاع

بقلم عدنان الداعوق

حين كان الليل يئن وسط الهدوء الصيفي الفارق، شعر أن الدنيا كلها اصبحت ملك يديه.

جال ببصره طويلا حتى اخترقت عيناه مجاهل الافق البعيد الشفيف.. كان شبه نور خافت هناك وراء الافق.

هو في السادسة من عمره عندما احب الافق. ووجد فيه طريقا جديدة تذهب اليه الملائكة الصغار. كان يظن ان جميع الملائكة صغار السن في مثل عمره، الى ان التقى يوما وهو على احد الشواطىء بفتاة رائعة سماها ملاكا.

كانت تحمل في جسدها كل روعة الملائكة... وتذكر حداثته.

لم تكن صغيرة السن، بل كانت في العشرين تفوح من ثوبها البحري الصغير رائحة الانوثة.. وكان يومذاك لا يعرف الانثى الا من بعيد وقد جللها بسمات الملائكة حين كان يظنها تسبح وترقص عند الافق البعيد.

عيناه تلاحقان الثوب البحري الصغير.. النار تشتعل فيه ويحترق...

وانطفأت النار بالماء.. وغابت في رقصات الامواج المتلاحقة والمتلاعبة.

ابتدات الاصوات.. اصوات الحريق ترطم اذنيه.. وسمع فجأة جمعا غفيرا يصيح بصوت واحد:

ـ غريق.. غريق...

واندفع مع المندفعين.. ورأى بعض الشباب يحملون جسد فتاة حسناء بأيديهم.

كانت نفسها.. ذات الثوب البحري الصغير محمولة على الايدي، وقد انتفخ بطنها بالماء المالح الذي ابتلعته.

كانت اذ ذاك بصورة الملائكة تماما. وجهها الذي كان قبل لحظات يطفح بالخطيئة وجسدها الذي كان يتلوى فوق الرمال فتئن الرمال من جبروته.. اصبح كل هذا ساكنا هادئا لا حركة فيه ولا حياة.

وماتت بين الايدي. واندفن ملاك صغير في مقبرة واسعة في قاع البحر.

*

تعب وهو يتطلع الى البحر.. كان الشاطىء يزخر بآلاف الناس..

وبلحظة واحدة رحلت جميع الملائكة واقامت فوق جزيرة بعيدة، جاهد في الوصول اليها، ولكنه غرق وهو يحارب الامواج التي وقفت حائلا بينه وبين غايته.

وحملته بعض الفتيات الجميلات، وعدن به الى الشاطىء.

كان الشاطىء مقفرا لا ملائكة هناك ولا انصاف ملائكة.

وجرت له الفتيات بعض اعشاب البحر وبخرن جسده.. واحس بالحياة تدب فيه من جديد.

وزار قعر البحر..!

المقبرة البحرية بيضاء. فوق كل قبر جذع شجرة عتيقة.. كانت هذه الجذوع تدل على اصحابها.

كانت بعض القبور نكرة. لا تحمل اثرا لجذع.. وقد وقف امامها رجل عجوز بيده صليب منحوت من حجر اسود شرعه فوق القبر ليدل على ان صاحبه مفرق في حبه للاله. الاله العظيم.

لم يكن يتنفس بصعوبة. السمك يتنفس بصعوبة.. كان الماء يدخل الى رئتيه ويخرجه من فمه دون عناء.

وكان السمك يموت.. فقد تلوث الماء بالسم.. واخذ السمك يطفو فوق سطح الماء ليلتقطه الناس الجياع.. فالحياة خارج الماء فناء.!

في الاعماق البعيدة كان العالم مالوفا.

الحركة تموج بآلاف الاصوات الغنائية، وموسيقى البحر تعزف اغاني لم يرددها احد، ومع ذلك كانت مصحوبة بترديد حاد.

كانت الاغنيات بصداها تصدم الصلبان السود، فتعطي رنينا منغوما عجيبا.!

*

التقى بفتاة عجيبة التكوين.. نظر اليها طويلا وحملق.. وكاد يصعق من مرآها حين تردد جذع شجرة عتيق.. وتنفس القبر وهمس:

ـ اهجر العالم ايها الاله الصغير ففي النهاية كل شيء حرام، ما عدا العبادة.!

وطمر وجهه حين سمع الصدى السحيق، وبكى وامتلأ قعر البحر بلآلىء عجيبة الشكل واللون.

وهرعت اليه الفتيات الصغيرات.. وتحلقن حوله، كان ما يزال يبكي لؤلؤا صافيا..

وسألته احداهن:

ـ انت الزائر الجديد لعالمنا هذا.؟

قال وقد رفع راسه من القاع:

ـ لست زائرا، بل خيل الي انني ارتحلت الى عالمكم العجيب هذا.!

وضحكت الصغيرات.. وهرعن الى ملعبهن.

صليب اسود، مرمري الحجر انتصب مطمورا امامه.. نصفه في القاع، ونصفه الآخر يلمع سواده متحديا.

خيل اليه انه يسمع صوتا يقول:

ـ انت من عالم كافر.. تقرب من النهاية بالسلام.. لا تقتل صغار السمك، ودع النبتة الصغيرة تنبت في طمأنينة.. ولا تقطف زيتون جارك المسن...



## الليل

**مهداة الى امي**

تخافين هذا الظلام الرهيب
والقاه في بسمة وادعه
واحمل جرحي ..
رغم العذاب ..
ورغم اساطيره الخادعه
فلا الليل ..
عاد بغير الهنا ..
ولا الدمع حدث
عن فاجعه !
ولا الريح
والديدبان العجوز
ينوء بقامته الفارعه
يصلي .. الدقائق ..
أن تنتهي
وتعلن ساعته السابعه
فيهجر مقعده ..
المستباح ، بأوهامه
الرثة الباليه
يعود ...
لزوجته في الصباح
وينتظر الليلة الثانية
واما انا ...
فالليالي الطوال
هنا ..
لن تغادرني ثانيه
تنام معي
وصداها الحزين
يقبل غرفتي
الغافيه
فلا تحزني ..
سيموت الظلام ..
ويرحل ،
في رحلة نائيه .

**بغداد** **حميد سعيد**

---

وطفا جسده مع السمك الصغير على سطح الماء .. وغادر البحر حزينا كئيبا ، وقد حمل معه قليلا من لآلىء دموعه حين كان في القاع .

عمل في الحقل زارعا .. وكان ينثر بعضا مما حمله من لآلىء في اعماق التربة .. وفي مشرق النهار التالي كان يجد مكان اللؤلؤة صليبا مرمري الحجر اسود يتخذه بعض الفلاحين معبدا ، يبنون حوله مكانا صغيرا ، ويقدمون فيه انفسهم هبة للعالم الآخر .

كان يشعر بالسعادة حين يأتي المساء .. وينظر في الافق البعيد .. كان يسمع صوت الفتيات الصغيرات يأتيه مصحوبا بضحكاتهن :

– لقد اصبحت الها صغيرا .. لا تنس ان تصلي من اجلنا جميعا .. نحن كلنا بلا خطيئات نعيش .!.

وكان ينتعش من اصواتهن .. ويهرع الى الحقل ، وتبلغ سعادته منتهاها حين يلمح المصلين يتحلقون جماعات ويتوجهون الى معابدهم الصغيرة هناك ...

*

الريح تزحف من الجهة الغربية للحقل الكبير .. وصوت الريح يئن صارخا مدويا . اعتراه الخوف .. خوف من الريح والعاصفة .. وظن ان الافق البعيد سيجذب اليه الريح لئلا تفسد ما زرع وما سعى في زرعه من اغراس .

ولكن الاصوات تظل تأتيه غير عابئة او بقربان .

الصلبان السود تقف في المعابد متحدية بالايمان ... والجماعات العابدة يرتفع دعاؤها الى العلاء العظيم .

وهو هو .. يقف ببلاهة ، ولا يستطيع ان يفعل شيئا .

واقترب الصوت .. وزمجرت العاصفة قريبة .

عند ذاك فقط فطن الى انه يستطيع ان يوقف العاصفة ...

فانبرى للحقل ، وصار يقطع زيتون جيرانه .. ويسطر الجذوع فوق بعضها لئلا تأتي العاصفة فتقتلع بيته . بيته الذي بناه جميلا سعيدا .

لم يكن يهمه احد الا نفسه ..

ولم تكن تهمه المعابد الاخرى ..

الريح تزحف وتزحف .

وتصطدم الريح ببعضها .. وتشتعل النيران صاخبة هادرة . وتلهب كل شيء .

وترتفع الاصداء البعيدة الآتية من الافق الازرق قرب البحر .

واستطاع ان يميز الاصداء المزمجرة :

– انت كافر .. لماذا قطعت زيتون جارك ؟.. انت كافر .. كافر !.

*

واحترق كل شيء واندثر ...

ورحل وحيدا الى البحر ، وانغمر مع الامواج الحزينة التي حملته رويدا الى القاع .

لم تكن هناك القبور البيض ...

لم ير الجذوع القديمة ولا الصلبان المرمرية الحجر ..

كان السمك يتفسخ ، والدود يصرخ جائعا مهرولا اليه .

اراد ان يهرب .. فتبعته مأساته ، والثعابين البحرية تلحقه الى كل مكان .. واصطدم بحجر هش كبير ، وغاص في تراب اسفنجي اخضر .

وابتدا يموت ..!

اراد ان يصرخ فأكل الدود لسانه .. وود لو ينظر الى البعيد لعله يرى املا فانفقأت عيناه وذاب ماؤهما .

واستسلم للنهاية ..

وتمنى سريعا ان يموت قبل ان تمعن النهاية في عذابه .

ولكن الصدى وحده كان رفيقه ، فظل يسمع ويسمع :

– لماذا كفرت وقطعت زيتون جارك ... كان الخلود ملكك فطلبت ان تحيا لنفسك ونسيت كل من حولك ... اذهب ايها الكافر فلن يعرفك احد . لانك بلا صليب تموت ..!

**حمص** **عدنان الداعوق**

# رماد

البير اديب

يا لها عبرةْ
غرزت مخالبها
جمرهْ

جحظت عيناه
رهبهْ
يدور على نفسه
رجعا
وداء النفس أشرى




الجراح تتنزى
ضاق صدره
حزنا

اضاع العمر
غمّا
جوداً وفداء وحبا
فاختلجت انفاسه
حسرهْ
وانفجر مرحاً وضحكاً




## مي : اديبة الشرق والعروبة

تاليف محمد عبد الغني حسن ـ ١٩٤ صفحة ـ منشورات عالم المكتبات بالقاهرة ـ المطبعة (؟)

ما تزال الكاتبة « مي زيادة » اسما لامعا في الادب العربي المعاصر ، وما تزال سيرتها الشائقة وخاتمتها المثيرة تشغل المفكرين والكتاب والباحثين ، فلا تمر فترة من الزمن حتى يصدر كتاب او يكتب مقال او ينشر راي جديد ، فقد عاشت مي حياة مثيرة وكان صالونها في العشرينات شيئا ملفتا للنظر ، جمع العديد من الادباء والمفكـــرين ، وانشأ مشاعــر ووجدانيات وصبوات هزت الشعراء والكتاب ، ثم انطوت مي كالزهرة الندية في ظل احداث متتابعة قاسية هزت نفسها واضطرب لها كيانها النسوي الرقيق ، فعاشت بين اضطراب الفكر وقيود المستشفى ، فلما اطلقت لم تعد الى دنياها الاولى ، بل ظلت في جوها النفسي المثير حتـى قضـت .

فاذا جاء الاستاذ محمد عبد الغني حسن ليكتب عنها بعد اكثر مـن عشرين عاما كتابه الجديد ( مي : اديبة الشرق والعروبة ) فانما شانه في ذلك شان من يريد ان يعاود قضية كان هو اول من تولاها وتصدى لها ، فما يزال الباحثون عن مي يذكرون كيف ان مرجعهم الاول كان في كتابه الاول « حياة مي » الذي اصدره بعد وفاتها مباشرة سنة ١٩٤٢ ملحقا بالمقتطف ثم انفصل عنه ، وقد اجرى فيه عديد الاحاديث مع معارفها ورواد صالونها .. ثم مضى الزمن فكتب عشرات عن مي مؤلفات وابحاثا حتى لقد احصي ان اكثر من خمسين باحثا رجعوا الى كتابات الاستاذ عبد الغني وعدوها مراجعهم في كتاباتهم وابحاثهم .

وقد الف في ذلك منصور فهمي وجميل جبر وكتب كامل الشناوي وانور المعداوي والمازني والعقاد وقدم طاهر الطناحي العديد من الابحاث في جو مي وحياتها وما يزال كثيرون يعدون ابحاثا عن مي على وشك ان تصدر في مؤلفات في مقدمتهم السيدة « وداد سكاكيني » الكاتبـــة العربية الدمشقية الاقامة .

وقد افاد هؤلاء جميعا وغيرهم مما كتب محمد عبد الغني حسن منذ عشرين عاما ، فليس اذن على الكاتب من ضير ان يعود مرة اخرى الى حياة هذه الكاتبة بعد ان اوغلت في الزمن ليكتب عنها مرة اخرى ، وقد اصبحت حدثا تاريخيا تستقبله نفس الباحث بمزيد من الاناة والروية في المراجعة والتحقيق لكل ما يتصل به من قضايا وازمات .

يقول ان كتابه الاول قد لقي تقدير القراء والادباء ، ومـن كريـم الملاحظات والتوجيهات ما يجعله يوطد العزم على ان يخرج كتابا جديدا مستزيدا في بعض الجوانب ، خاصة في محنة مي قبل وفاتها « حـين غالبتها الوساوس وهاجمتها الهواجس فكانت نزيلة المصحات النفسية والعقلية التماسا للخروج من وحشتها وكآبتها وعزلتها وصمتها الذي ما تعودته ، وكانت الفصيحة البيان ، الطليقة اللسان ، حتى انكرها امين الريحاني وهو يزورها رغما منها في مستشفى بلبنان ولم يملـك ان يحبس الدموع في عينيه ، حين شاهد ما صارت اليه » .

كما اضاف فصولا عن طفولة مي الحزينة ودراساتها للصحف وكيف غيرت اسم ميلادها من ماري الى مي ، كما نشر نماذج من ادبها وكتاباتها وخطها ورسائلها .. وقد صحح الرأي الشائع الذي كان يردد ان مي ولدت في لبنان وكيف انها ولدت في بلدة الناصرة من اعمال فلسطين .

يقول محمد عبد الغني حسن ان مي وجدت ان اسم ماري افرنجي النغمة غريب على الاذن العربية ، على حين ان اسم مي عربي اصيل يضرب في اعراق العروبة الى حد بعيد ، ولكن التغيير من ماري الى مي لم يكن طفرة ، ولم يكن اول تغيير ولا انتقال ، فقد سبق لـمي ان اختارت لنفسها اسما ووضعته على اول كتاب اصدرته بالفرنسية وهو كتاب ( ازاهير حلم ) اما الاسم الذي اختارته لتضعه على الكتاب الفرنسي اللغة فهو ( ايزيس كوبيا ) .. فماري وايزيس كوبيا ومي هي اسماء ثلاثة لمسمى واحد ، وهي القاب متعددة لشخص واحد ، هو تلك الفتاة الحائرة القلقة التي لم يسلم من حيرتها حتى اسمها ، فتغير معها كما تغيرت بها الاحوال والازمان .

ولم يكن اختيارها لاسم ( ايزيس كوبيا ) عفو الخاطر ، وانما كان فيه دلالة القصد في الاختيار ، ومراعاة الاعتبار ، فايزيس ـ كما في التاريخ المصري القديم ـ هي زوجة اوزوريس وهي اشبه في علاقتها بالالـــه بالسيدة مريم العـذراء ، وكوبيـا هي بالفرنسيـــة Copieu وبالانجليزية Copious واصلها اللاتيني يحمل معنى الفزارة والنماء والزيادة فكانها ترجمة لاسم جدها ( زيادة ) باللغة اللاتينية ...

وهكذا يمضي محمد عبد الغني حسن فيحدثنا عن مي في مختلـف دقائق حياتها وتاثراتها في مجال الدين واللغة والاسلوب ويتحدث عن مي كاتبة وخطيبة ومحاضرة ورأيها في الشعر العربي والموسيقى ودورها في النهضة النسائية وهو الجانب الضخم من حياتها الفكرية .

ويورد لذلك ذكرياته الخاصة وملاحظات الشاهد المتابع لنشاط هذه الكاتبة التي كانت موضع اعجاب جيلها كله ، حيث لم تكن الحياة الادبية في مصر قد حفلت بالعديد من الكاتبات والباحثات .

ولعل الموضوع الذي نال اهتمام المؤلف هو « منتدى مي » فقد كـان صالونها جزءا من تاريخ النهضة الادبية في العشرينات حتى ان خليل مطران وصفه بعد وفاتها :

اقفر البيت ايـن ناديـك يا مي اليـه الوفـود يختلفونـا
صفـوة المشرقيـن نبلا وفضلا فـي ذراك الرحيب يعتمرونا
فتساق البحوث فيه ضروبا ويدار الحديث فيه شجونا
وتصيب القلوب وهي غراث من ثمار العقول ما يشتهينا

وقد جرى اسم ندي مي في شعر اسماعيل صبري والعقاد ، ثم جرت المقارنة بين صالونها وصالون نازلي فاضل واندية سكينة بنت الحسين وعلية بنت المهدي وولادة بنت المستكفي .

وهكذا يمضي الكاتب في دراسته العلمية عن مي مستعينا فيها بكل ما كتب معارفها وما شاهده هو وسجله ، ولم يشا ان يحرم القراء من احاديثه الاولى عنها التي ضمنها كتابه « حياة مي » الذي نفدت طبعته من زمن بعيد ، الى نماذج من كتاباتها ، وذلك على طريقة الكاتب الدقيقة المعروفة وميله الوافر الى تسجيل المؤلفات والابحاث وهو العمل الفريد الذي جعله مرجعا هاما لكل باحث ، فانت ما ان تريد ان تكتب دراسة معينة حتى تجد نفسك مضطرا للاتصال بالاستاذ محمد عبد الغني حسن لتساله عن مراجع لهذا البحث ، فاذا هو يدلك فور اللحظة ، ومـن وراء خطوط الهاتف الى عشرات المراجع في القديم والحديث ، فاذا ما اغناك بالمراجع ، اعتذر لك بان هذا ما يذكر الان وانه سيبحث لـك عن مراجـع اخـرى .

ولعلي لا استطيع ان اقول انني التقيت برجل في جيلنا اكثر الماما منه بهذا الجانب وهو في هذا يقف في صف رجلين متخصصين في هذا الفن احدهما الاستاذ كحالة في دمشق والاستاذ داغر في بيروت .

ويرجع هذا في الاغلب الى ان محمد عبد الغني حسن بدأ حياته الادبية قبل ثلاثين عاما يكتب باب (المؤلفات الجديدة ) في المقتطف ، يستوعب ما ينشر من الادب القديم والحديث والمخطوط والمطبوع ، ليس على نطاق القاهرة وحدها ولكن على نطاق العالم العربي كله ، بل انني قد لقيت عنده امس كتابا جديدا « لا يزال ساخنا كما يقولون » من الادب العربي المطبوع في تركيا فهو لا يقف ايضا عند حدود العالم العربي ، وقد اتاح له عمله في دار المعارف ومؤسسة المطبوعات الحديثة والمؤسسة المصرية العامة للانباء والنشر والتوزيع والطباعة خلال عشرين عاما او يزيد ما جعله اوثق اتصالا بكل ما ينشر في مجال الادب والتاريخ وهما ابرز الفنون التي اولاها اهتمامه والذي تضم مكتبته الحافلة منها اغلب ما كتب فيهما وما نشر من قديم وحديث فيما لا يقل عن عشرة آلاف مجلد ..

ويتصل هذا بالطبع بنشأة محمد عبد الغني حسن واتجاهه الفكري الاغلب في مطالع حياته فقد بدأ وليد المنصورة ١٩٠٧ حياته بالشعر ، وليس غريبا ان تخرج المنصورة الشعراء وهي اجمل بلاد مصر واحفلها بالجمال والشعر والفن .

ثم اتيح لكاتبنا ان يتم دراسته في دار العلوم في الثلاثيات وقد ترك دويا ، فهو شاعر عاطفي له شعر جميل رائع ينشره في الصحف والمجلات ، وهو شاعر الاهرام ، ثم هو الحفي به في خلال الازمات الاقتصادية والسياسية ان يسافر في بعثة الى انجلترا وفرنسا لدراسة التربية وعلم النفس ، موفدا من الدولة ، فاذا ما اتم دراسته في جامعة ( اكستر ) وعاد عام ١٩٣٦ ليعمل مدرسا ، فمفتشا عاما للغة العربية ، لا يشغل عن العمل الفكري ولا ينصرف عنه فيوالي نشر اثاره الادبية التي بلغت بكتابه الجديد عن مي خمسون كتابا الا كتابا واحدا ..

وهي اعمال تتعدد مجالاتها بين الادب والدواوين الشعرية وتحقيق المخطوطات والترجمة ودراسات الاعلام وفنون الادب ، ودراسات الاسلام وقصص الرحالة والمكتشفين . واذا كان كتابه الاول عن مي هو اول كتبه في الاغلب اذ صدر عام ١٩٤٣ فانه كان قد صرف شيئا ما عن الشعر الذي استهل به حياته الى العمل الادبي في مجال النثر ، وهو ما تعمقه من بعد وسار فيه اشواطا طويلة . واني لارى انه قد اختار ميدانا حيا نابضا بالحياة ليكرس له اغلب عمله ، وهو مجال البعث والاحياء لامجاد امتنا العربية الاسلامية في فكرها وبطولاتها واعلامها وروائع مواقفها .

وامامي ثبت لمؤلفات محمد عبد الغني حسن فاذا به يسترعيني في جانبين : الاول دراسات الاعلام فاني ارى امامي دراساته عن عبد الله فكري ومي وابن الرومي وبطل السند وموسى بن نصير وابي مسلم الخراساني وامنة بنت وهب وخديجة بنت خويلد والزباء بنت عمرو وشجرة الدر وعديد من الرحالة المكتشفين الاجانب امثال فاسكو دي جاما والكاتبة تول وسكوت وغيرهم والثاني هو امجاد الامة العربية الاسلامية في مجال النهضة تناول ذلك في كتابه معرض الادب والتاريخ الاسلامي ومن امثال العرب وصراع العرب خلال العصور ، وعلم التاريخ عند العرب والاسلام بين الانعتاق والجحود ، والقرآن بين الحقيقة والمجاز والاعجاز وملامح من المجتمع العربي وايام العرب ( ذي قار واليرموك والقادسية ويوم الاندلس ) الخ ...

وهذا الاتجاه في مجال البحث يعطي صورة رجل من المدرسة الوسطى، مدرسة البناء على الاسس التي طالما افتقدها العالم العربي في نهضته الفكرية اليوم ، ومنذ صدر البلاغ الاسبوعي والسياسة الاسبوعية وهما طليعتا النهضة الفكرية بعد الحرب العالمية الاولى ، ونحن نرى اسم محمد عبد الغني حسن يتردد ويمضي في مثابرة وعمل مستمر ، لا يتوقف

مَن أجل رسالة الفكر والحياة .. فاذا به يكتب من بعد في الرسالة ومصر الحديثة المصورة والثقافة والمجلة .. وعشرات من المجلات الادبية العربية ، اما المقتطف فقد سايره خلال عشرين عاما كاملة او تزيد وقد رأيته في مجلداته ( فوق السبعين ) جاثما في مكان مستقل من مكتبة الاستاذ عبد الغني وهو ثروة لا شك فيها ومدرسة كاملة في الفكر والادب والعلم والاجتماع .

ولا شك ان الخبرة القوية قد اتاحت لمؤلف حياة مي القديمة والجديدة ذوقا رفيعا في تقويم الكتب والاعمال المطبوعة والمؤلفة وكتابة الشهري ( بريد الكتاب ) يشهد بذوقه وقدرته في هذا المجال .

واذا كان لا بد لنا ان نتناول الشاعر محمد عبد الغني حسن فان ذلك يقتضينا ان نشير الى دواوينه الاربعة :

وراء الافق ١٩٤٧ ـ من نبع المياه ١٩٤٨ ـ من وحي النبوة ١٩٤٨ ـ ماض من العمر ١٩٥٤ .

اما شعره فهاك نموذجا منه :

هذا الفضاء امام عينك فانظري … تجديه ملء السمع ملء المنظر
اني اذوق به لذاذات الهوى … واشم نفح عبيره المتعطر
حيث الربيع هناك في ريعانه … يختال في البرد النضير الاخضر
حلت بشاشته بكل ثنية … وبدت نضارته لكل مصور
صور جلاها الحسن فهي مشاعة … تهب لعباد الجمال الاطهر
قد عفت ثرثرة المدينة فاسمعي … همس النسيم يمر غير مثرثر

الخ .. الخ ....

ولست ارى الا انني اشارك الدكتور احمد زكي ابو شادي فيه اذ يقول : ان هذا الشاعر يمثل الرقة المصرية المأثورة في جميع شعره ولا اعرف شاعرا مصريا ينافسه في حلاوة موسيقاه الى درجة كبيرة سوى عثمان حلمي صاحب نسمات السحر والمعلم الاول ايليا ابي ماضي حين اقامته بالاسكندرية ، وديباجة الشاعر محمد عبد الغني تمتاز بالاناقة الى جانب الصفاء والعذوبة . فاذا ما انتقلنا الى طاقته الشعرية وجدناه غنيا بها حينما يتجاوب مع الطبيعة .

وبعد فان مؤلف حياة مي قبل عشرين عاما وبعدها ، هو احد كتاب هذا الجيل الموهوبين الذين ضربوا في كل مجال بهم ، في التاليف والترجمة ونظم الشعر ، وثابروا واستمروا على الطريق طويلا ، وكان لهم خلال عملهم هدف واضح مشرق شريف ، هو الكشف عن ذاتية هذه الامة وعظمتها وامجادها ، وبعث اثارها وتراثها ، واتاحة الفرصة لهذا الجيل كي يعرف شخصيته ومكانه في الفكر العالمي والانساني .

وهو ماض في الطريق .. تحف به عاطفة مشرقة وايمان اكيد .

القاهرة — انور الجندي

•

## رسوم دار الخلافة

تاليف ابي الحسين هلال بن المحسن الصابيء ـ حققه ونشره وعلق عليه ميخائيل عواد ـ عدد الصفحات ٧٦+٢٠٦ ـ مطبعة العاني ، بغداد

وضع العرب في عهودهم الزاهرة كتبا ممتعة في السياسة والادارة والدبلوماسية والرسوم ، اشهرها آداب الملوك والاحكام السلطانية والامامة والسياسة وتدبير الممالك وقوانين الدواوين والوزراء والكتاب من تاليف الجاحظ وجلال الدين السيوطي والقاضي ابي يعلى والماوردي والصولي وابن قتيبة والجهشياري وابن مماتي وغيرهم . لكن كتاب « رسوم دار الخلافة » الذي الفه ابو الحسين هلال بن المحسن الصابيء ( ٩٧٠ ـ ١٠٥٦ م ) قد انفرد بميزتين : اولاهما ، اختصاصه بموضوع طريف هو موضوع الرسوم او البروتوكول ، وثانيتهما ، ما تيسر للمصنف من صلات وثيقة بدار الخلافة ومصادر عارفة باداب الخدمة ورسوم المكاتبات والمخاطبات مما هيأ للكتاب ان يكون مرجعا معززا بالاسانيد ومزينا بالامثال والشواهد والقصص التاريخية النادرة .

ان « الرسوم » اسم عام ينظر الى كلمة « اتيكيت » و « بروتوكول » باللغة الفرنسية ، وقد اختص اخيرا بالمعنى الثاني واصطلح عليه بالعربية بكلمة « مراسم » او « تشريفات » . واصبح للمراسم شان هام في العلاقات الدولية في العصور الحديثة ، فعرف « البروتوكول » بانه « اصول المجاملات الدولية » . واعتبرت اللغة الفرنسية لغة الدبلوماسية في المكاتبات والمخاطبات ووضعت آداب مقررة للملابس الرسمية في شتى المناسبات واصول متبعة لمقابلة رؤساء الدول والوزراء وتقديم اوراق اعتماد السفراء والمفوضين وحضور الحفلات الرسمية وما ماثل ذلك ... وكانت الدول الكبرى بوجه خاص تعنى بهذه القواعد وتلتزم بها فيما بينها وتعتبر كل خروج عنها مورد اهانة وتقصير . لكن استقلال العدد العديد من الامم بعد الحرب العالمية الثانية وبروزها الى الميدان الدولي وتعدد المؤتمرات والاجتماعات على صعيد هيئة الامم وخارجها ، كل ذلك قد افضي الى تبسيط المراسم والتهاون فيها والتخفيف من قيودها والتواضع على تيسير الاداب الرسمية في المراسلات والحفلات والمقابلات . وفقدت اللغة الفرنسية ميزتها الفريدة في المجال الدبلوماسي فزاحمتها اللغة الانكليزية وسائر اللغات الوطنية ... وكذلك نرى الامم تلتزم البساطة في شؤونها الرسمية عند اول نشوئها وتأخذ بالتعقيد والتشديد كلما تقدمت في مضمار الحضارة والرقي ، ثم تعود بعد ذلك الى البساطة والسهولة .

والغريب اننا نرى الدول في عهود وهنها وضعف شانها اشد التزاما بالرسوم وقواعد الابهة والفخفخة تطلبا للهيبة وعلو المنزلة . فقد قيل ان دولة ليبرية التي انشئت في اواسط المائة التاسعة عشرة ، على سواحل افريقية الاستوائية ، على نمط الولايات المتحدة الاميركية وضعت قواعد « بروتوكولها » على النسق الاميركي وهيهات ان تتساهل فيه قيد شعرة ، حتى ان رجالها المسؤولين يلبسون « البونجور » و « الفراك » في الحفلات الرسمية ويتصببون عرقا في ازيائهم الثقيلة بلا تذمر ولا تافف ، بينما يسجل مقياس الحرارة درجة ١٠٠ او ١٢٠ فهرنهايت في الظل .

ونقل صديقنا المؤرخ الحجة الدكتور مصطفى جواد في كتابه الرائع « سيدات البلاط العباسي » عن السلطان طغرل بك السلجوقي الذي اذل الدولة العباسية ولم يترك للخلافة سوى الاسم والخطبة ، انه ارغم الخليفة القائم بامر الله على تزويجه ابنته طمعا في البركة وشرف المصاهرة ، فهدده وجار عليه وخرق هيبته ، حتى اذا ما اضطر الخليفة الى تحقيق رغبته مسيرا غير مخير ، حمل السلطان اليه الهدايا والاموال وابلغه انه « المملوك القن الذي قد سلم نفسه ورقه وما حوته يداه وما يكسبه باقي عمره الى الخليفة » . وزفت العروس المسكينة الى السلطان الذي بلغ من العمر عتيا ، فاجلست على سرير ملبس بالذهب ، ودخل طغرل بك حجرتها فقبل الارض بين يديها وخدمها ودعا لابيها الخليفة ثم خرج من غير ان يجلس . وسجل التاريخ بعد ذلك حدثا عجيبا ، فقد خرج السلطان الشيخ الى صحن الدار واحيى ليلته يرقص ويغني مع رجال حاشيته ابتهاجا وسرورا . ومضى في خدمة الاميرة وتقبيل الارض بين يديها واغداق التحف والهدايا ، ثم حملها معه من بغداد قسرا حتى وصل الى الري وتوفي فيها بعد امد وجيز !

لعلا هلالا الصابيء خير من تصدى لتدوين رسوم دار الخلافة في القرن الخامس الهجري ، فقد تتلمذ على جده ابي اسحق ابراهيم الصابيء الذي كان صاحب ديوان الانشاء في بغداد وتخرج عليه في فنون الكتابة

وخدم معه حينا من الزمن ، فلا بدع ان روى عنه اخبارا كثيرة جرت في عهد المطيع لله والمعتضد والقاهر والمكتفي والطائع وغيرهم من الخلفاء ، ونقل نماذج من رسائله الرسمية . وتولى هلال نفسه بعد ذلك ديوان الانشاء فشاهد عن كثب الامور التي دونها كقوانين الحجابة وجلوس الخلفاء وملابسهم وازياء الداخلين عليهم وخلع التقليد والولاية ورسوم المكاتبات عن الخلفاء وخطاب الخلفاء والادعية لهم والالقاب والخطبة على المنابر الخ ..

ولقد كانت الخدمة في دار الخلافة صارمة لا هوادة فيها . فمما ذكره صاحب « رسوم دار الخلافة » عن جده ان المهلبي وزير معز الدولة مؤسس الدولة البويهية قد رفع صوته يوما في حضرة المطيع العباسي ، فقال له الخليفة : يا كلب ، ترفع صوتك بين يدي ؟ وامر به فاخرج مجذوبا بيده ومدفوعا في ظهره ! بل ان احد الكتاب في دار السلطان جعل احدى رجليه على الاخرى وهو جالس على دكة ، ولم يكن ثمة احد من كبار رجال الدار ، فوثب اليه صديقه من خلفاء الحجاب وضرب رجله ضربة مؤلمة وقال له : والله ، لو ان ها هنا من اتخوف ان يرفع الخبر لما سامحتك ، فاننا مأمورون اذا رأينا احدا من الناس قد جلس في دار السلطان مثل هذه الجلسة ان نجره من موضعه جرا الى خارج حريم الـــدار !

وروي عن شخص آخر حضر يوما في دار عضد الدولة ونزع عمامته فوضعها بين يديه . ورآه بعض اصحاب الاخبار فكتب بما كان من امره، فما كان الا ان خرج اليه استاذ الدار فانبه لاخلاله بحرمة السلطان ، واخذ عمامته فضرب بها راسه حتى تمزقت ، ثم امر باعتقاله ولم يطلق سبيلـه الا بعد لأي .

ويذكرني ذلك بحادثة رويت عن محمد باشا آل بابان متصرف لواء الحلة في اواخر عهد الدولة العثمانية ، وكان رجلا مهيبا متعاظما يتشبه بالملوك والامراء حتى لقب بالخديو : فقد حضر احد الوجهاء لمقابلتــه وانتظره في الديوان ، فلما دخل المتصرف رأى الوجيه يسير جيئة وذهابا ويداه وراء ظهره ، فلم يكن منه الا ان ابتدره بالتأنيب لقلة احترامه للمتصرف في غيابه ، وقال له : كيف تجرؤ على مثل هذا التصرف في ديواني ؟ وامر بطرده فورا ...

ولا بد من القول ختاما ان الاستاذ ميخائيل عواد ، وهو الاديب البحاثة المحقق ، قد بذل جهد عشرين عاما او يزيد في تحقيق هذا الكتـــاب النفيس ، ووضع له مقدمة ضافية تناولت سيرة المؤلف واسرته ومؤلفاته ، وعلق عليه بالحواشي المفيدة ، وذيله بالفهارس المطولة ، حتى جاء مكتمل المحاسن ، موفور الفوائد والعوائد . فله على جهوده الموفقة كـــل تكريم وثنــاء .

بغداد — مير بصري

•

## الظما والينبوع

تاليف فاضل السباعي — ١٤٤ صفحة — الطبعة الثانية — منشورات دار الآداب ببيروت — المطبعة (؟)

في ندوة الاستاذ القباني الادبية الاسبوعية بكازينو بوريفاج على شاطىء النيل ثارت عجاجة النقاش حول دور اللهجة العامية في القصة ، واتهم البعض — ظلما وزورا — لغة الضاد بانها تعجز عن ان تمدنا بكلمات مألوفة تعبر ادق تعبير عن بعض مستلزمات العيش الحالي ومطالـــب العصر الحاضر ، وزعموا ان العامية بزت الفصحى في بعض هاتيك النواحي . وتشاء الظروف ان تصلني هدية اخي الكاتب الاستاذ فاضل السباعي وهي قصته الحديثة « الظما والينبوع » قبيل آونة النقاش هذه بقليل فكانت تلك القصة هي الفيصل في هذه القضية الادبية المثارة ، فقـد كانت بما امتازت به من سلاسة الفاظ وسهولة تعبير وخلوها من العامي والدخيل دليلا افحم ويفحم هؤلاء الذين نادوا وينادون بان الحوار العربي يعجز عن ان يقوم مقام الحوار العامي في تبيان خلجات النفس والتعبير عن حاجات العصر المستحدثة . ولغة القصة — فضلا عن ذلك — تنساب في سهولة وليونة مطواعة ، تزينها تعبيرات جديدة وكنايات حلوة ، من هذا قوله في ص ١١ « وكان يدفع الحياة في شرايين سيارته » ومـن الكنايات قوله « اسئلة يمسك بعضها بتلابيب بعض » ص ٢٥ ، « وطعم لذة الترحل » ص ٣٢ ، الى غير ذلك من الوان الجمال التعبيري التـي يحسها كل خبير متمكن في اللغة بصير بلطائفها ودقائقها .

وفي خطوات كالتي يخطوها الباحث العلمي المتمكن ينتقل مؤلفنـا الفاضل « فاضل السباعي » من الكل الى الجزء ومن العام الى الخاص، فهو بادىء ذي بدء يبلور قصته في كلمتين هما عنوان القصة « الظما والينبوع » ثم يتدرج في المقدمة فيفصح لنا بعض الشيء في كلمـات قليلات عن الجو العام الذي يشمل القصة ، وما ان يبدأ في الفصل الاول حتى نرى التحليل والاسلوب ذا الجرس الموسيقي والعبارات التي ياخذ بعضها بحجز بعض والمواقف البعيدة عـن الغلو والافتعــال ، والموضوع الانساني الحيوي الذي تتخلله العواطف الجياشة والاحاسيس العارمة والمطامح الزاخرة بالمطامع الواسعة . والخط النفسي للقصة يسير في غير انحناء او تعرج ويسلمك في النهاية الى غير ما تتوقع ، لذا كان التشويق هو السمة الظاهرة بوضوح من معالم هذه القصة التي تشدك الى متابعتها والمضي معها الى النهاية .

والوفاء العربي هو المحور الذي تدور حوله القصة ، كما ان بـين دفتيها تبيان لشيم العربي وسجاياه التي أثرت عنه من بذل ومـروءة ونجدة وانفة وغيرة و .. و ..

والقصة ليست خيالية ولا مفتعلة الحوادث ، بل هي — فيما يبـدو لي — تجربة صادقة عاشها المؤلف وهو طالب في جامعة شتوتغـــارت الهندسية ، ولعب دورها على مسرح الحياة الواقعي ، ثم انفـعل بهـــا فوشاها باسلوبه واججها بعاطفته . وقدمها لنا في مؤلفه هذا متضمنة هذه القيم الرفيعة وهاتيك المثل العالية التي تشي بصفات العـــربي الاصيل وتكشف عن سجاياه واخلاقه وشيمه والقصة بهذا المنحى تعـد لونا من الوان الادب الواقعي الهادف الذي لا يوغل في الخيال ولا يعمق الاوهام ولا يتحدى الواقع بل يتحدث بما يلائم الفكر وما يوائم الحقائق.

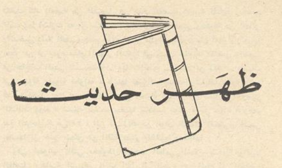
واذا كان الاسلوب بما يحمل من خصائص هو مرآة الكاتب ونفسيته، فلا شك اننا رأينا في قصة الظما والينبوع صورة واضحـة المعالــم لنفسية فاضل السباعي التي تنضح بعديد من الشيم الاصيلة النبيلة.

وانني ادعو اخواني النقاد والقراء ان يكملوا مـــا أراني قصرت في تبيانه تجاه هذه القصة ، وما عجزت حاستي النقدية عن ابرازه، اذ قد حاولت ان اتلمس ولو وجهة نظر مخالفة تقع تحت طائلة العقوبـات النقدية الادبية ، ولكن — واقولها في صراحة — أسقط في يدي ان اجد ثغرة في هذا البناء القصصي المتكامل .

واذا كان اديبنا الفاضل « فاضل السباعي » قد تساءل في نهايـة قصته فقال : هل يستطيع الاديب ان يبدع عملا روائيا ذا قيمة ما لـم يتعرض في قرارة نفسه لعصف رياح ما ؟

وانا اقول ان العمل اذا كان نتاج تجربة وممارسة فمن غير شك يكون أقرب الى الصدق والحق والواقع ويكون صدى لما عالجه المرء من قبل وكان بمنأى عن الحدس والظن والريب فيكون لذلك كله أوقع في النفس وأقرب الى القلب قرب « الظما والينبوع » الى كل القلوب .

القاهرة — محمود بن الشريف
رئيس قسم جريدة الطلبة العرب
بوزارة التعليم العــالي




● المواطن والدولة في نص الدستور وروحه ـ تاليف جوزف باسيلا ـ ١٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المكشوف ببيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● الضمان الاجتماعي مع قانون الضمان الاجتماعي اللبناني ـ تاليف اندريه جيتنغ ـ ترجمة نبيه صقر ـ ٢٣٢ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع دار الارشاد للطباعة ببيروت .

● قدر العدس واقاصيص مغربية اخرى ـ تاليف محمد بن احمد اشماعو ـ مصمم الغلاف الطيب بوشعرا ـ ١٢٤ صفحة ـ المطبعة الوطنية في الرباط .

● جبران خليل جبران واثاره في الادب العربي ـ تاليف نبيل كرامه ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الرابطة الثقافية (؟) ـ مطبعة الراسي في زحلة .

● محمد اقبال سيرته وفلسفته وشعره ـ تاليف الدكتور عبد الوهاب عزام ـ ١٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات باكستان ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● من قصص المحاكم ـ اشرف على التحرير البرت بلاوشتين ـ ترجمة الدكتور كمال ابو المجد ومحمد رفعت ومحمد مصطفى غنيم ومحمد منيب والدكتور كامل عطا وثروت اباظة ـ مراجعة وتقديم حسن جلال العروسي ـ ٣٩٤ صفحة ـ منشورات مركز كتب الشرق الاوسط بالقاهرة ـ مطابع مؤسسة طباعة الالوان المتحدة بالقاهرة .

● فن قيادة الشباب ـ تاليف دوروثي روبرتس ـ ترجمة اسماعيل صفوت ـ مراجعة احسان العابد ـ تقديم محمد طلعت خيري ـ مصمم الغلاف ابراهيم احمد الطهطاوي ـ ٢٦٠ صفحة ـ منشورات مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ـ مطابع مؤسسة طباعة الالوان المتحدة بالقاهرة .

● احاديث عن القانون الامريكي ـ تحرير هارولد ج. بريمان ـ ترجمة ومراجعة الدكتورين محمد فتح الله الخطيب ومصطفى احمد فهمي ـ تقديم حسن جلال العروسي ـ مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي ـ ١٧٨ صفحة ـ منشورات مركز كتب الشرق الاوسط بالقاهرة ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● الانهار العظيمة في العالم ـ تاليف آن تري هوايت ـ ترجمة العميد أ.ج. محمد عبد الفتاح ابراهيم ـ اشراف ومراجعة الدكتور محمد صابر سليم ـ مصمم الغلاف ايهاب شاكر ـ ١٣٦ صفحة ـ مصور ـ منشورات دار المعارف بمصر القاهرة ـ مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● حمام السعادة وقصص اخرى ـ تاليف خضير عبد الامير ـ ٣٢ صفحة ـ مطبعة الاديب ببغداد .

● المؤتمرات المثمرة ـ تحرير جمعية تعليم الكبار الامريكية ـ ترجمة فؤاد فوزي حنين ـ مراجعة وتقديم العميد سيد عبد الحميد مرسي ـ ٨٨ صفحة ـ منشورات دار القلم بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

● كيف نعلم الكبار ـ تحرير جمعية تعليم الكبار الامريكية ـ ترجمة العميد سيد عبد الحميد مرسي ـ تقديم الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار القلم بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

● الانسان والطبيعة ـ تاليف نخبة من المفكرين ـ ترجمة الدكتور نظمي لوقا ـ تقديم وتعريف عباس محمود العقاد ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) ـ مطبعة مصر (؟)

● فقد البصر قدرة لا عجز ـ تاليف ماكسين ووت ـ ترجمة الدكتور فاروق احمد حسني ـ مراجعة وتقديم محمد كامل النحاس ـ ٧٢ صفحة ـ منشورات مؤسسة الخانجي بالقاهرة ـ مطبعة الاستقلال الكبرى (؟)

● التقرير السنوي لوزارة التربية والتعليم الاردنية للعام الدراسي ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ ـ اعداد قسم الاحصاء في وزارة التربية والتعليم في عمان ـ ٢٩٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الشركة الثلاثية في عمان.

● لبنان في روائع اقلامه ـ جمع وتقديم الدكتور جميل جبر ـ ٥١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة الشرقية ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● كتاب تعبير الرؤيا ـ تاليف ارطاميدورس الافسسي ـ نقله من اليونانية الى العربية حنين بن اسحاق المتوفي سنة ٢٦٠ هـ ، ٨٧٣ م ـ قابله بالاصل اليوناني وحققه وقدم له توفيق فهد ـ ٤٨٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق ـ المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

● المدينة على مر العصور ـ تاليف لويس ممفورد ـ اشرف على ترجمته وقدم له وعلق عليه الدكتور ابراهيم نصحي ـ مصمم الغلاف المهندس رفيق البابلي ـ ٤٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● بيولوجيا الفضاء ـ تاليف جيمس س. هانران ودافيد بوشنيل ـ ترجمة زكريا فهمي ـ مصمم الغلاف صفوت عباس ـ ٤٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة البيان العربي ( ؟ )

● ما يجب على المراهق ان يعرفه ـ تاليف ليستر كيركندال ـ ترجمة الدكتور محمد نسيم رافت ـ اشراف ومراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ٩٢ صفحة ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر (؟)

● انت وقدراتك ـ تاليف فرجينيا بلارد ـ ترجمة الدكتور عطية محمود هنا ـ اشراف ومراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ٩٢ صفحة ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر (؟)

● التدخين والصحة ـ تاليف بات ماكجريدي ـ ترجمة الدكتور كمال كشميري ـ مراجعة وتقديم محمد كامل النحاس ـ ٤٨ صفحة ـ منشورات مؤسسة الخانجي بالقاهرة ـ مطبعة الاستقلال الكبرى (؟)

● الامومة والطفولة في الاسلام ـ تاليف محمد احمد العزب ـ ٦٨ صفحة ـ منشورات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ـ مطابع شركة الاعلانات الشرقية (؟)

● شكري شعشاعه الانسان الاديب ـ تاليف البدوي الملثم ـ تقديم عبد الحميد ياسين ـ ١٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة الوطنية في عمان .